سلسلة دراسات تركستان الشرقية (١)

أتراك الأويغور

تأليف: أركين آلبتكين

ترجمة:

د. محمد السيد محمد جادالحق

مدرس اللغة التركية بجامعة عين شمس

وقف التركستان الشرقية

سلسلة دراسات تركستان الشرقية (١)

تصدر تحت إشراف الأستاذ عبد الجليل طوران السكرتير العام لوقف تركستان الشرقية

أتراك الأويغور

تأليف: أركين آلبتكين

ترجمة: د. محمد السيد محمد جادالحق

مدرس اللغة التركية بجامعة عين شمس

العنوان:

Dedeefendi Cad No: 4 : Şehzadebaşi
34470 Fatih / Istanbul/ TÜKİYE

الهاتف:

0090 212 519 46 67
0090 212 519 07 86

الفاكس:

0090 212 519 0988

الناشر

وقف التركستان الشرقية

٢٠١٢ - يناير

فهرس المحتويات

مقدمة المترجم ٧
مقدمة المؤلف ١١
تسمية الأويغور - الوطن الأم للأويغور - التاريخ السياسي ١٢
ظهور تسمية قبلة الأويغور على مسرح التاريخ ١٣
معنى تسمية الأويغور ١٦
الوطن الأم للأويغور ١٧
التاريخ السياسي ٢٢
الأويغور حتى سنة ٧٤٤ .... ٢٢
دولة الأويغور الأولى ٢٤
دولة أويغور لان - جو ٢٩
دولة أويغور تركستان الشرقية ٣١
الدولة القراخانية ٣٢
الإدارة المغولية ٣٤
الغزو المانجو - صيني ٣٥
الجمهورية في الصين وتركستان الشرقية ٣٧
الأدب الأويغوري ٣٩
١ - الأدب التركي الأويغوري قبل الإسلام ٤٠
٢ - الأدب التركي الأويغوري تحت التأثير الإسلامي ٤٩
الشعراء الأتراك الأويغوريون الكلاسيكيون ٥٧
ممثلو الأدب الذين ظهروا تحت التأثير الغربي ٨٧
الجغرافيا البشرية لتركستان الشرقية ٩٠
مساحة تركستان الشرقية ٩١
أشكال السطح ٩١

المناخ ٩٤
تعداد أتراك الأويغور ٩٥
اللغة والثقافة والفن لدى الأويغور ٩٨
لغة الأويغور ٩٩
الكتابة الأويغورية ١٠٠
الدين لدى أتراك الأويغور ١٠٢
الفن والعمارة ١٠٤
المسرح ١١١
الصحافة والنشر ١١٤
التعليم ١١٦
أنواع الطعام الأويغورية ١١٨
الطب لدى الأويغور ١٢٠
الموسيقى والآلات الموسيقية ١٢١
بنية المجتمع وطرز الحياة ١٢٦
الاقتصاد الأويغوري حتى سنة ١٩٤٩ .... ١٢٨
الزراعة – تربية الحيوانات – الصناعة ١٢٩
عصر الصين الحمراء (الأحمر) ١٣٥
التكتيك الأحمر قبل عام ١٩٤٩ .... ١٣٥
تأسيس مناطق شبه المستقلة (الحكم الذاتي) ١٤٢
السياسة الثقافية ١٤٩
الصحافة والنشر في تركستان الشرقية ١٥٢
الإصلاحات الاجتماعية الاقتصادية ١٥٤
تربية الحيوانات – الصناعة – الانطباعات التى أظهرها شعب شرق تركستان
إزاء هذه الإصلاحات ١٥٨
أتراك الأويغور في الاتحاد السوفيتي ١٧١

مقدمة المترجم

يحتل تاريخ الأتراك -على وجه العموم- أهمية كبيرة فى التاريخ العالمى؛ فقد لفتت الأدوار التى قام بها الأتراك، والظواهر التى تبدت على مدار هذا التاريخ، لفتت أنظار الباحثين فى مجال الدراسات التركية.

ولقد مر تاريخ الأتراك بمراحل ثلاث؛ مرحلة التاريخ القديم أى فترة ما قبل الإسلام، ثم مرحلة التاريخ الإسلامى الوسيط، التى اصطبغت بصبغة الإسلام، والعمل على نشره ورفع رايته عالية فى الآفاق فقد رفع الإسلام من قدر الشعوب التركية، ورفعوا هم راية الجهاد من أجل نشره. ثم تأتى فى النهاية مرحلة التاريخ الحديث لهذه الشعوب التى تعرضت فى هذه المرحلة لمجموعة من التحولات شملت كافة النواحى الحضارية والثقافية والفكرية والأدبية وكافة جوانب الحياة التركية.

وأتراك الأويغور هم أحد الفروع الأساسية للشعوب التركية، إنه شعب عريق أبدع حضارة باهرة بطول تاريخه وشجاعته وذكائه ونشاطه، وأسهم إسهامات خالدة فى خزينة الحضارة الإنسانية. وأتراك الأويغور إخوة من النسب مع الهون والترك من حيث النشأة، وينتمى إلى مجموعة لغات آلتاي من حيث اللغات التركية. ولفظ «الأويغور» إنما هو اسم

يدل على الوحدة السياسية للقبائل المتحدة تحت اسم الأويغور.

ولقد مر تاريخهم بالمراحل الثلاث سالفة الذكر، وحقيقة الأمر أن مبعث اهتمامى بدولة الأتراك الأويغور يرجع إلى نقاط ثلاث؛ أولها سابق تعرضى لموضوع أتراك الأويغور أثناء مرحلة الإعداد لرسالة الدكتوراه، ولكن فى فترة ما قبل الإسلام، وثانيها أن موضوع كتابنا هذا لايتعامل فقط مع موضوع أتراك الأويغور قبل الإسلام، بل هو يتعامل مع أتراك الأويغور فى مرحلة هامة عن ظروف دخولهم للإسلام وإسهامهم فى الحضارة الإسلامية وأيضا يتعامل معهم فى فترة التاريخ الحديث، وثالثها أن شعب الأويغور قُدِّر له أن يعانى من الاستعمار الصينى والروسي، والمناهضين للدين الإسلامى ولمظاهر الحضارة الإسلامية هناك فى تركستان الشرقية والغربية.

وإذا كانت الدولة العثمانية قد حظيت باهتمام بالغ من قبل الباحثين فى الدراسات التركية، واهتمت بها البحوث منذ عهد ما قبل الإسلام ثم امتد محيط الحضارة العثمانية الإسلامية حتى تركيا الحديثة. لذا نجد أن الأتراك الأويغور يفتقرون كثيرا إلى الاهتمام والبحث الجاد من قبل الباحثين المسلمين.

ومن الجدير بالذكر أن أركين آلبتكين قد بذل جهدا طيبا فى هذا المجال؛ فقد تناول تاريخ الأتراك الأويغور من نشأة الدولة قبل الإسلام ثم مرحلة التاريخ الإسلامى لهذه الدولة وانتهى بالحديث عنها

فى العصر الحديث. ولقد تطرق أركين آلپتكين إلى موضوعات شتى فى هذا الكتاب منها التاريخي والأدبي والثقافي والاجتماعي مما يلقى الضوء بجدارة على مراحل تاريخ وحضارة وثقافة هذا الشعب المغبون، ومن ثم ... جديرا بنقله إلى اللغة العربية، لكى يتم النفع به إن شاء الله سواء من قبل الباحثين والمهتمين بالدراسات التركية والإسلامية منها على وجه الخصوص، أو من قبل غير المتخصصين والذين لهم صلة بهذا النوع من الدراسات من قريب أو من بعيد...

د. محمد السيد محمد جاد الحق

الرياض - ١٩٩٩م

مقدمة المؤلف

لأتراك الأويغور مكانة هامة فى تاريخنا سواء من الناحية السياسية أو من زاوية التطور الثقافى. إن الأويغور الذين يعيش معظمهم اليوم فى تركستان الشرقية، والذين ظل قسم منهم تحت الإدارة الروسية – يرزحون تحت نير الاستعمارين الصينى والروسى. كيف وصلت هذه القبيلة التركية العريقة التى يقدر تاريخها بألفى عام إلى هذا الوضع؟ وما هو موقفها الحالى؟ وكيف ينظرون إلى المستقبل؟ وما هو أمس ويوم وغد أتراك الأيغور، الذين أتحفوا الأدب التركى بأسماء خالدة مثل محمود الكشغرى، ويوسف خاص حاجب، وإلام سيسير؟ إن هذا الكتاب يبحث فى الرد على هذه التساؤلات.

أركين آلبتكين

١٩٧٩ م - استانبول

القسم الأول

تسمية الأويغور

الوطن الأم للأويغور

التاريخ السياسي

ظهور إسم قبيلة الأويغور على مسرح التاريخ

تذكر الغالبية العظمى من الأتراك الذين يعيشون فى تركستان الشرقية التى تمثل مستعمرة صينية اليوم - بإسم الأويغور. وخلاف ذلك، فهناك أتراك يعيشون تحت هذا المسمى فى الاتحاد السوفيتى، وفى الهد وباكستان، وأفغانستان، والمملكة العربية السعودية، وتركيا.

يورد المؤرخون عدة آراء حول نشأة إسم الأويغور، فيذكر فى المصادر الصينية أن الأويغور ينسلون عن هون آسيا، كما يمدنا مؤرخو أسرة «هان» الحاكمة (٢٠٦ ق.م - ٢٢٠م)، وأسرة «وى» (٢٢٠م - ٢٦٥م، وأسرة «جين» (٢٦٥ - ٢٨٩م)، وأسرة «سوى» (٥٨١- ٦١٨م)، وأسرة تانج بالصين (٦١٨ - ٩٠٦م) معلومات مختلفة عن أتراك الأويغور. وطبقا لهذا، فإن الأويغور الذين هم أبناء هون وسط آسيا يتخذون إسم «جاو جوى» فى عهد أسرة» وى» الحاكمة (لدى بعض المؤرخين «جاود سو»، كاوكو» «كاوجة»، وهو يأتى بمعنى ذوى العربات العالية، وقد ذكر فى عهد أسرة «تانج» الحاكمة بـ تيه له (وطبقا لبعض المؤرخين جيلة - تله - تولس)

وكانت أقوام «يوانجو» تشكل القبيلة الأم للشعب الذى يسمى

«حاو جوى» و «تيه له» وكانت كلمة «هواى هو» قد ذكرت بـ «وى هو»، وفيما بعد بـ «هواى هو» حتى أصبحت «هواى هو» مرادفا لأيغور، حتى أن الأستاذ ابراهيم قفص اوغلو أيضاً يؤيد العبارة السابقة ويذكر أن أسماء الأتراك الأويغور كانت قد ذكرت منذ زمن بعيد جداً فى المصادر الصينية بأشكال مختلفة (هواى هو، وى هو، يوان هو، هوى هو، هو هو).

ويذكر على كمال مرام أيضاً أن القبيلة التركية المعروفة بـ «قاوجة» بالتعبير الصينى (٢٢٧ – ٢٦٤) والتى انضمت إلى الاتحاد الذى يكون امبراطورية الهون (HUN) أنها كانت أتراك الأويغور.

ويستخدم العالم اليونانى بطليموس فى الخريطة التى اختطها، كلمة أويخارديس كاسم نهر ينتسب لأحد الأقوام فى شرق تيان شان الوسطى. وهى أيضاً تقرأ على أنها «أويغور».

ويبين محمود الكشغرى أن تسمية الأويغور قد عرفت اعتبارا من ٣٢٩ ق.م – ٣٢٧ ق.م، وأن كلمة اويغور كانت تنطق فى الأصل خودخور، ثم ظهرت من بعد ذلك الشكل «أودخور» طبقاً لقاعدة خو u-kh، ثم قيل فيما بعد «أويغور» طبقاً لقاعدة Y-DH .

وطبقاً للروايات الإيرانية المتعلقة بالأتراك القدماء يطلعنا أساده توسيده عن وجود قبيلة تركية تسمى «بوغور» أى «أويغور» فى منطقة تيان شان الوسطى. ويخبرنا أنه كان على رأسهم حاكم يسمى خاقان الأويغور.

ويبرز دى جروت قيمة نسبة أتراك الأويغور إلى قبيلة هوقوت (هوى هو) التى ظهرت فى الاتحاد الهونى العظيم فى سنة ١٧٧ ق.م.

وخلاف ذلك فمن الممكن مصادفة تسمية الأويغور فى نقوش الكوك ترك وتصادف كلمة «أويغور» على النصب المشيد لتخليد ذكر القاغان (قوبول) مؤسس دولة الأويغور بعد موته.

ومسطور فى النقوش الكوك تركية أن أوغور خان قد جاء إلى بلدة كَور عند عودته من حرب الهند، وأنه سار من هناك إلى بلاد البلغار. وبُيِّن أن الأويغور لم يشتركوا فى هذه الحرب، كما أنهم منعوا من ذلك، وكلفوا بوظيفة حماية القطر فى سمرقند.

ومن الممكن استخلاص هذه النتيجة هنا، وهى أن أتراك الأويغور كانوا يعرفون اعتبارا من القرن الثالث قبل الميلاد. وأنهم قد عاشوا فى أزمنة مختلفة وتحت أسماء مختلفة، وقد أعطيت أسماء مختلفة للأويغور الذين كانوا السكان المحليين لهذه الأراضى بعد سيطرة تركستان الشرقية، والصين القومية ١٩٤٤ - ١٩٤٩، والصين الشيوعية ١٩٤٩-؟، ولقد كانت الأسماء مثل «جنتو» ذا العمامة، و«وى فو أر» (وصارت مرادفا لأويغور) من بين هذه الأسماء.

ولقد فُضِّل ذكر الأتراك الأويغور - الذين شكلوا الغالبية العظمى من أتراك تركستان الشرقية فى المجلس الذى انعقد فى طشقند عام ١٩٢١ فضل ذكرهم باسمهم القومى مرة أخرى.

معنى تسمية الأويغور

معنى لفظ الأويغور هو الوحدة والتعاون والاتفاق. إن كلمة أويغور موجودة فى اللغة التركية القديمة وفى اللغة المغولية وفى لغة المانجو. وأيضاً المصدر أويمق الموجود فى اللغة التركية العثمانية هو من المادة الأصلية «أوي» التى تعد نفس الأصل مثل «أويغور» وصارت أويغور مرادفاً لكلمة مدنى «متحضر» فى اللغة التركية. وتعبر كلمة أويغور المشتقة من كلمة خودخور فى المؤلَّف (المسمى) «ديوان لغات الترك» أنها تأتى بمعنى «الذين لا يظلون جوعى». وطبقاً لرأى بطليموس فإن كلمة «اويخارديس» أو»أويغور» تأتى بمعنى المستوطنين، وطبقاً لرأى الأستاذ الدكتور لازلو راسوينى فإن كلمة أويغور تأتى بمعنى «المطيعون».

ويمدنا الدكتور رضا نور المهتم بمعنى تسمية الأويغور أيضاً تلك الإيضاحات، إن «أويغور» فى التركية بمعنى الملتصق.

حتى أنهم يقولون (تبت اللبن) فى الجغتالية عندما يصنع اللبن والزبادى. وعندئذ يصبح (قاتيغ)، وقاتيغ عندنا هى قاتي أى صلب. وفى آسيا الوسطى يطلقون على الزبادى قاتيق. وعندما يصبح زبادى تلتصق الكُريّات التى فى اللبن ببعضها، وهكذا تعنى "uyundu" التصق. ويقال أيضاً تبعت الإمام أى يتم الجلوس إذا جلس الإمام، وينهض إذا نهض. و»غور» فى الأسلوب الأويغورى القديم والحديث

أداة تكوّن الصفات من الأسماء ونفيها «مغرور» وهناك كلمات طويغور من طويمق بمعنى الأكل والشبع، وطويماغور بمعنى الرجل الذى لايعرف الشبع، وبناء عليه فإن أويغور تعنى المناسب، المؤنس، أليف، مطيع، أما أويماغور فتعنى غير أليف ووحشى. والحقيقة انه بينما الأتراك الآخرون كانوا بدويين محاربين، كان الأويغور مستوطنين وهادئين.

الوطن الأم للأيغور

يحدد الدكتور رضا نور الوطن الأم للأتراك الأويغور على هذه الشاكلة: «من المؤكد أن أول قبيلة تركية انفصلت عن القبائل التركية فى البرارى الواسعة لآسيا الوسطى وسيبيريا، وسارت جنوباً بهدف تأسيس وطن دائم هى هؤلاء الأويغور. كان الأويغور فى الشرق إيالة قانصو بالصين وصحراء جوبى، والتبت وجبل كنلن، وفى الغرب سهل البامير، وفى الشمال منطقة جونغاريا، وكانت حدودها الجنوبية جبال الآلتاى.

وظل للأويغور ارتباطهم وعلاقاتهم مع الأتراك الآخرين على هذا الامتداد الأخير.أما مركز الأويغور فهو مناطق قومول وطرفان[1] وقره شهر. وفيما بعد كانت كاشغر على وجه الخصوص وسمرقند وقارشى مناطق أويغورية. وفى هذه الحالة تكون أويغورستان هى تركستان الشرقية

---

(١) طرفان= تورفان واحة مدينة مزدهرة فى تركستان الشرقية بالقرب من مدينة أورومچى.

الحالية وتركستان الصينية.

ويكتب المؤرخ السوفيتي الأويغورى كيروف ما يلى:

"يظهر العالم اليونانى بطليموس الأويغور على أنهم السكان المحليون للتركستان الشرقية فى خريطته فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد. أما العالم اليونانى الآخر هيرودوت فيسجل أن اسم أحد الجبال جنوب تركستان الشرقية فى أبحاث القرن الخامس قبل الميلاد كان يطلق عليه (آلتون داغ) أى الجبل الذهبى وأن أحد معابره كان يطلق عليه (موز طاغ آته)، وخلال ٢٥٠٠ عاما مضت جاء أصل هذه الكلمات بدون أى تغيير. ويستخدم الآن هذا الاسم الذى أطلقه الأتراك الأويغور على أنفسهم فى ذلك العصر. وهذه الكلمات هى أصل اللغة الأويغورية.

وهكذا يقول العالم الروسى بوردنييف: إن التاريخ السياسى للأويغور وثيق الصلة جدا بتركستان الشرقية وتعرف دولة الأويغور اعتبارا من القرن الأول قبل الميلاد.

وكان يطلق على أوطانهم «جيلة». ونستطيع أن نستنتج أن الوطن الأصلى للأويغور كان هو المنطقة الواقعة حول جبال تيان شان. أما هذه المنطقة فهى تركستان الشرقية.

ويذكر كولين ماكراس فى رسالته للدكتوراه بعنوان الإمبراطورية الأويغورية أن الأتراك الأويغور قد عاشوا فى المناطق الممتدة حتى قانصو

وأورخون وسلانكه وبش باليق وطرفان وقومول. أما بش باليق (أوروبحى) وطورفان وقومول فهى فى تركستان الشرقية»

ويروى الأستاذ الدكتور إبراهيم قفص اوغلو أن أقوام تولس (قارق) التى تعتبر أحداد الأويغور بالاتفاق مع الهون البيض قد استولوا على مناطق قره شهر وكوجار وآقصو وكاشغر وأجوارها فى آسيا الوسطى فى عام ٤٨٤م.

ويذكر الأستاذ الدكتور أحمد جعفر أوغلو أن الوطن الأم للأويغور كان «حامى» فى المنطقة الواسعة الواقعة بين قومول وكاشغر.

ويوضح الأستاذ الدكتور لازلو راسوينى أن أتراك الأويغور قد كانوا يعيشون فى المناطق الشرقية لحوض أورخون وباركول وقومول وتاريم[1].

فى هذه الحالة، وبناءً على ما يفهم من الأمثلة المعطاة فيما سبق، فإن أتراك الأويغور، اعتبارا من تواريخ قديمة جداً كانوا يعيشون فى المناطق المجاورة لأنهار أورخون وسلانكه فى الشمال، وفى قطاعات أوردوس وقانصو فى الشرق، وقومدريا وخوتن وكاشغر فى الجنوب، وبجوار جبال صايان فى الغرب، وفى المنطقة الواقعة داخل جارسجان وإسيق كول واوزكنت من جبال آلاطاغ وطاريغتاى، كانت لهم نشاطات سياسية وثقافية فى تلك الأماكن.

---

(1) طارم= تاريم ويعنى حوض نهر التاريم شمال تركستان الشرقية.

ويبدو أن المعلومات المستقاة حتى اليوم من الخرافات والأساطير اعتبارا من نشأة تاريخ الأتراك الأويغور حتى أظهروا وجودهم. ثبتت بالرواية الحقيقية المناطق التى عاشوا فيها.

إن ذهاب بوغاقاغان إلى الصين قد أحدث نتائج عظيمة من ناحية تاريخ الثقافة التركية. وأحضر بوغوقاغان- الذى تعرف على رهبان الصغد فى الصين وعرف الديانة المانية- أحضر معه أربعة رهبان مانيين عند عودته. وبعد مدة قصيرة طلب اعتناق الديانة المانية كديانة رسمية بدلا من دينه. ولهذا عدة أسباب؛ أهمها كان قطع علاقة الأتراك بالصين من الناحية الدينية، لأن الصينيين كانوا يدينون بالبوذية. هكذا كان بوغوقاغان قد أراد اتخاذ الديانة المانية ديانة رسمية للأتراك من أجل هذا.

ومات خاقان الصين سوتسونج فى عام ٧٦٢م، وأكلت الفتن برأسها مرة أخرى فى الصين. ونصح رهبان المانية بوغوقاغان بفتح الصين، واقتنع بوغوقاغان بهذه الفكرة. وفى الوقت الذى بدأ فيه الاستعداد اللازمة قتله وزيره باغاطارقان ابن أخيه. مع أن باغاطارقان كان يؤمن بإمكانية فتح الصين، إلا أنه كان يعتقد أن إدارة هذا البلد الشاسع الضخم كانت من الصعوبة بمكان عظيم. وخلاف ذلك فإن الأتراك كان من الممكن أن يُستوعبوا بسهولة فى هذه الدولة ذات العدد الضخم من الناس. ولهذا السبب فإن قوم هون ووسط آسيا والكوك ترك الشرقيين قد استوعبوا فى الصين. وطبقا للمعلومات التى أمدنا بها المؤرخون فإن تعداد الصينيين

فى دولة «وى» فى سنة ١٤٠م كان تسعة وعشرين مليونا. وفيما يخص (فو) فيما بعد صار ١١ مليون، ودولة «صو» ٧,٥ مليون. ولم يكن هناك سوى استيعابهم فى دولة مزدحمة كهذه.

وبعد قتل بوغوقاغان حل محله ابن أخيه باغاطارقان ٧٧٩-٧٨٩م، وبعد موته صعد إلى العرش ابنه كولوج بيلكه ٧٨٩- ٧٩٠م، وفى النهاية ابنه قوتلوق بلكه ٧٩٠-٧٩٥م.

واتخذت أقوام التبت التى اهتمت بالصين منذ القدم مع أقوام الشاتو الموجودة فى مناطق بشباليق (أوروبجى الحالية) فى ذلك الوقت وبدأوا هجماتهم. وإذا كان الأويغور- الذين اتخذوا من حماية الصين تقليدا لهم لأسباب إقتصادية، وأرسلوا القوات- قد أرادوا صد الاعتداءات، إلا أن التوفيق لم يحالفهم، فقد كانت الفوضى قد عمت فى دولة الأويغور. ولكن بدأ عصر الرفاهية فى عهد الحاكم قوتلوق قاغان المحبوب ٧٩٥-٨٠٥م، وفى خلفه كولوج بيلكه ٨٠٥-٨٠٨م، فتطور النشاط الاقتصادى ودخل المدن التجارية الهامة فى وسط آسيا، وبعد آلب بيلكه قاغان ٨٠٨- ٨٢١م الذى مرّ عهده فى هدوء نسبي من ناحية السياسة الخارجية، فإن بولمش كوجلوك بيلكه هو الخاقان الذى كتب نقش قره بلاساغون العاصمة. وكانت فترة حكمه فترة موفقة، وصدّ التبتيين الذين أرادوا أن يجثوا على صدر الوطن التركي، وعين حاكما جديدا على رأس أقوام القارلوق المرتبطين بالخاقانية، وطوروا علاقاتهم التجارية فى منطقة الصغد.

ولكن ظهرت الاضطرابات مرة أخرى فى الوطن وقتل الخاقان آلب بيلكه فى عام ٨٣٢م، ومات آلب كولوج بيلكه قاغان أيضا فى عام ٨٣٢- ٨٣٩م إثر تمرد قاده وزيره. وهجم القرغيز- الذين أحدثوا الاضطرابات فى منطقة ينسي منذ عام ٨٢٠م- بحشود ضخمة على الأويغور وفتحوا قره بلاساغون وقتلوا الخاقان وأعملوا القتل فى الأهالى، وبالإضافة إلى كل ذلك قصم الشتاء الحاد فى عام ٨٣٩م ظهر دولة الأويغور، وهكذا اندحرت دولة الأويغور الأولى التى ظهرت على المسرح السياسي بعد الهون والتابغاج والكوك ترك، والتى استمرت حكمها ٩٥ عاما.

وبدأ الأويغوريون فى ترك هذه المنطقة فى صورة مجموعات، وبعد هذه الهجرة التى رأسها أخوان من عائلة الخاقان بدأت الصفحة الثانية لتاريخ الأويغور.

وهاجرت قافلة أويغورية تقدر بثمانمائة ألف شخص إلى مناطق قانصو التى كانت الوطن القديم للأويغور، وهاجرت القافلة الثانية الأكثر كثافة إلى مناطق بشباليق (أوروبجى) وطورفان وكوجار وآقصو فى تركستان الشرقية، أما القافلة الثالثة الأقل عددا فقد هاجرت إلى مناطق يدى صو، وكاشغر وياركند وخوتن.

وكان على رأس الأتراك الأويغور المهاجرين إلى مناطق قانصو قوهي تكين ٨٤١-٨٤٦م الذى اختير خاقانا خلال الهجرة. وكان أتراك

الأويغور الذين استوطنوا فى لانجو مركز قانصو، وأحوارها كانوا مختلفين عن دولة أتراك البرارى ولم يعتنقوا مبدأ توسيع نفوذهم فى هذه المنطقة وعملوا على إقرار واستمرار علاقات الصداقة والتجارة مع جيرانهم وعلى رأسهم الحكومة الصينية، وذلك دون دخول فى صراعات سياسية كبيرة وأسسوا دولة أويغور لانجو.

التاريخ السياسى

الأويغور حتى سنة ٧٤٤

كان الأويغور يعيشون فى أطوار النشأة فى المناطق الواسعة اعتبارا من بلاد قانصو وشنغهاى وشانسى الكائنة فى القطاعات الشمالية لنهر هوانج هو (النهر الصفر) فى الصين الحالية، وحتى القطاعات الشمالية لنهر تاريم. وقد انسحبوا إلى المنطقة الواقعة بين نهر اوردوس بمنغوليا وبين نهرى اورخون وسلانكة فى القرن الثالث قبل الميلاد نتيجة لهجمات الصينيين المستمرة.

وكان أتراك الهون قد كونوا فى ٢٢٠ ق.م دولة قوية كان يتجنبها جيرانها فى هذه المنطقة، وكان أتراك الأويغور أيضاً قد شكلوا امبراطورية الهون وانضموا إلى هذا الاتحاد ولعبوا أدواراً هامة.

وبعد تمزق وانحلال امبراطورية الهون صار النفوذ فى يد أتراك تابغاج (٣٨٦-٥٣٤) اقرب خلفاء أتراك الهون. وقد اشترك أتراك الأويغور أيضاً بسبع قبائل فى هذا الاتحاد الذى شكل دولة تابغاج.

وبعد التابغاج تحول النفوذ فى هذه المنطقة إلى الكوك ترك (الأستاذ الدكتور إبراهيم قفعى أوغلو، كُتب العالم التركى، أنقرة ١٩٧٦، ص ٧١٠) – أما أتراك الأويغور الذين انضموا إلى هذا الاتحاد فقد استوطنوا فى المنطقة الشمالية لنهر طوله (١٣٠).

وانقسمت امبراطورية الكوك الترك بتأثيرات داخلية وخارجية إلى قسمين، وبعد ضعفها بصورة تدريجية جذب أتراك الأويغور إلى صفوفهم أتراك القارلوق والباسمل والطقوز أوغور اعتبارا من سنة ٦٢٧م. وشكلوا جيشاً قوامه خمسون ألفاً وكونوا دولة الأويغور على أنقاض إمبراطورية الكوك ترك فى سنة ٧٤٤م.

أول دولة أويغورية

كان بويلا قاغان (بيلو أى ملك القبائل التسع) مؤسساً لدولة الأويغور التى كانت عبارة عن تسع قبائل (ياغلاقار – أوطور قار – طور لو مقيار – باقاصيقير – آقوجاغ – قارصار – هوجورصو – يابوطقار – آباوير). وكانت العاصمة هى قره بلاساغون (اوردوباليق) على ساحل نهر أورخون.

مات بويلاقاغان فى سنة ٧٤٧م، وحل محله ابنه مويانجور (٧٤٧-٧٥٩)م وقد اتسعت حدود دولة الأويغور فى عهده، فى الشمال حتى ينيس واورخون وسلانكا، وفى الغرب حتى جبال صايان، وفى الشرق حتى اوردوس وقانصو، وفى الجنوب حتى قوم دريا وختن وكاشغر.

وكانت أسرة تانج (٦١٨-٩٠٦) الحاكمة فى الصين قد بدأت فى التراجع فى الوقت الذى بدأ فيه الأتراك الأويغور فى الظهور على الساحة السياسية.

وكان الجيش الصينى قد انهزم أمام الجيوش العربية قرب نهر طالاس ٧٥١م. وحادثة أخرى هى أن قائداً يدعى آن لو شانج قد أعلن العصيان على خاقان الصين سوتشونج وفى معيته جيش يقدر عدده بمائتى ألف جندى واحتل مدينة لويانج فى عام ٧٥٥م وحانجان فى عام ٧٥٧م، وأعلن نفسه إمبراطوراً. وطلب خاقان الصين سوتشونج المساعدة من الخليفة أبو جعفر المنصور ومن خاقان الأويغور مويانجور، وأرسل الخليفة حينئذ إلى الصين وحدة صغيرة كانت فى تركستان، وتحرك موياتجور أيضاً من قره بلاساغون بوحدات خيالية، واستعاد مدينة لويانج فى عام ٧٥٧م. ووافق خاقان الصين سوتشونج على إعطاء أتراك الأويغور ٢٠٠ ألف ثوب من الحرير سنوياً ومات موياتجور فى عام ٧٥٩م، وحل محله ابنه بوغو قاغان ٧٥٩-٧٧٩م. وحول بوغوقاغان كل اهتمامه للصين التى استمرت فيها الاضطرابات، وأجبر الصينيين أن يتاجروا معه. وكان التجار الأويغور يتجولون كما يشاءون فى الصين، يأخذون

الأموال، ويبيعون بالسعر الذى يطلبون فيه. وكانت خيول الأويغور – تستبدل بحرير الصين، وذهب بوغاقان إلى الصين فى عام ٧٦٢، وصار ضيفا على القصر الصينى.

إن ذهاب بوغوقاغان إلى الصين قد أحدث نتائج عظيمة من ناحية تاريخ الثقافة التركية. وأحضر بوغو قاغان – الذى تعرف على رهبان الصغد فى الصين وعرف الديانة المانية – أحضر معه أربعة رهبان مانيين عند عودته وبعد مدة قصيرة طلب اعتناق الديانة المانية كديانة رسمية بدلا من دينه، ولهذا عدة أسباب، أهمها كان قطع علاقة الأتراك بالصين..... من الناحية الدينية، لأن الصينين كانوا يدينون بالبوذية، وثانى سبب هام هو أن دين بوذا كان يضعف الروح القتالية للترك. وهكذا كان بوغوقاغان قد أراد اتخاذ الديانة المانية ديانة رسمية للأتراك من أجل هذا.

ومات خاقان الصين سوتشونج فى عام ٧٦٢م، وأطلت الفتن برأسها مرة أخرى فى الصين. ونصح رهبان المانية بوغوقاغان بفتح الصين. واقتنع بوغوقاغان بهذه الفكرة وفى الوقت الذى بدأت فيه الاستعدادات اللازمة قتله وزيره باغا طارقان ابن أخيه مع أن باغا طارقان كان يؤمن بإمكانية فتح الصين، إلا أنه كان يعتقد أن إدارة هذا البلد الشاسع الضخم كانت من الصعوبة بمكان عظيم وخلاف ذلك فإن الأتراك من الممكن أن يستوعبوا بسهولة فى هذه الدولة ذات القدر الضخم من الناس ولهذا السبب فإن هون وسط آسيا والكوك ترك الشرقيين قد استوعبوا فى الصين وطبقا للمعلومات التى أمدنا بها

المؤرخون فإن تعداد الصينيين في دولة «وى» في سنة ١٤٠م كان تسعة وعشرين مليوناً وفيما يخص (فو) فيما بعد ١١,٧ مليون، دولة «صو» ٧,٥ مليون. ولم يكن هناك سوى استيعابهم في دولة مزدحمة كهذه.

وبعد قتل بوغاقان حل محله ابن أخيه باغاطارقان ٧٧٩- ٧٨٩م، وبعد موته صعد إلى العرش ابنه كولوج بيلكة ٧٨٩-٧٩٠، وفي النهاية ابنه قوتلوق بلكة (٧٩٠-٧٩٥).

واتحدت أقوام التبت التي اهتمت بالصين منذ القدم مع أقوام الشاتو الموجودة في مناطق (بش باليق) (الآن أوروبجى) في ذلك الوقت وبدأوا هجماتهم وإذا كان الأويغور – الذين اتخذوا من حماية الصين تقليداً لهم لأسباب اقتصادية وأرسلوا القوات – قد أرادوا صد الاعتداءات، إلا أن التوفيق لم يحالفهم، فقد كانت الفوضى قد عمت في دولة الأويغور ولكن بدأ عصر الرفاهية في عهد الحاكم قوتلوق قاغان المحبوب ٧٩٥-٨٠٥م وفي خلفه كولوج بيلكة ٨٠٥-٨٠٨)، فتطور النشاط الاقتصادي ودخل المدن التجارية الهامة في وسط آسيا، وبعد آلب بيلكة قاغان ٨٠٨-٨٢١ الذى مر عهده في هدوء نسبي من ناحية السياسة الخارجية فإن بولمش كوحلك بيلكة هو الخاقان الذى كتب نقش قره بلاساغون العاصمة، وكانت فترة حكمه فترة موفقة فصد التبتيين الذين أرادوا أن يجثوا على صدور الوطن التركى، وعين حاكماً جديداً على رأس أقوام القارلوق المرتبطين بالخاقانية، وطوروا علاقاتهم التجارية في منطقة الصغد والخاقان ولكن ظهرت الاضطرابات مرة اخرى في الوطن، وقتل الخاقان آلب بلكة

فى عام ٨٣٢م، ومات آلب كولوج بيلكة قاغان أيضاً فى عام ٨٣٢م – ٨٣٩م، إثر تمرد قاده وزيره وهجم القيرغيز الذين أحدثوا الاضطرابات فى منطقة ينيس منذ عام ٨٢٠ بحشود ضخمة على الأويغور وفتحوا قره بلاساغون وقتلوا الخاقان وأعملوا القتل فى الأهالى وبالإضافة إلى كل ذلك قصم الشتاء الحاد فى عام ٨٣٩ ظهر دولة الأويغور، وهكذا اندحرت دولة الأويغور الأولى. والتى ظهرت للمسرح السياسى بعد الهون والتابغاج والكوك ترك، والتى استمر حكمها ٩٥ عاماً.

وبدأ الأويغور فى ترك هذه المنطقة فى صورة مجموعات، وبعد هذه الهجرة التى رأسها أخوان من عائلة الخاقان بدأت الصفحة الثانية لتاريخ الأويغور.

وهاجرت قافلة أويغورية تقدر بـ ثمانمائة ألف شخص إلى مناطق قانصو التى كانت الوطن القديم للأويغور، وهاجرت القافلة الثانية الأكثر كثافة إلى مناطق بش باليق (أوروبجى) وطورفان وكوجار وانصو فى تركستان الشرقية، أما القافلة الثالثة الأقل عدداً فقد هاجرت إلى مناطق يدى صو[1]، وكاشغر وياركند وخوتن.

وكان على رأس الأتراك الأويغور المهاجرين إلى مناطق قانصو فوهى تكيني٨٤١-٨٤٦ الذى اختير خاقانا خلال الهجرة وكان أتراك الأويغور الذين استوطنوا فى لانجو مركز قانصو، وأجوارها كانوا مختلفين عن دولة

[1] يدى صو: تعنى الأنهار السبعة وهى للمنطقة التى تضم بلاساغون وسوياب وتقع فى تركستان الغربية وتضم الآن أجزاء من طاجكستان– قرغيزستان– أوزبكستان– قازاقستان.

أتراك البارى ولم يعتنقوا مبدأ توسيع نفوذهم فى هذه المنطقة وعملوا على إقرار واستمرار علاقات الصداقة والتجارة مع جيرانهم وعلى رأسهم الحكومة الصينية وذلك دون دخول فى صراعات سياسية كبيرة وأسسوا دولة أويغور لانجو.

دولة أويغور لانجو

قوى الأويغور الذى جاءوا إلى قانصو التى كانت وطنهم القديم، وأسسوا دولة أويغور لان جو - علاقاتهم المؤسسة على النشاطات التجارية أكثر مع الصين. وخلاف ذلك فإن أويغور قانصو قد قطعوا علاقاتهم مع منطقة عسكرية صينية موالية مركزها طونج هوانج (وهو مكان به ألف إمارة بوذية شهيرة، وذلك فى أوائل القرن العاشر الذى بدأت فيه التمردات ضد أسرة تانج الحاكمة). وأراد أحد القادة العسكريين، والذى أعلن تمرده على الصين فى عام ٩٠٥ أن يأخذ الأويغور تحت تبعية الدولة التى أطلق الهون الغربيون عليها تسمية.

مملكة آلتين داغ «الجبل الذهبى»، ولكن الجيش الذى أرسله أويغور قانصو حاصر طونج هوانج وأجبر الشعب على تسليم الملك لدرجة أنه طبقا لهذه الحادثة كسب الفرع الغربى للأويغور استقلالهم.

ولم يُهتم بأتراك الأويغور فى عهد خمسة أسر حاكمة حلت محل

أسرة تانج التى انهارت فى عام ٩٠٦ وبداية من أسرة ليانج المتأخرة ٩٠٧ -٩٢٣م. وتبين علاقة سفير الأويغور - الذى ذهب إلى الصين مع سفير التبت فى عام ٩١١ -ويمثل حاكم دولة الأويغور الكبرى أن نفوذ أتراك الأويغور قد إزداد بعد إنتصار طونج هوانج وقوبل حاكم الشاتو التركى مؤسس أسرة تانج المتأخرة التى كانت ثانية الأسر الخمس ٩٢٣ - ٩٣٦ بالود من قبل الأويغور الذين كان على رأسهم حينئذ الخاقان (جن مى) (الشجاع والبطل). وتملك بعد جن مى فى عام ٩٢٤ أخوه الأصغر تكين ٩٢٣ - ٩٢٦، ثم أخواه (أدروق - المختار) وجن يو. وأرسلوا إلى الصين فى تواريخ مختلفة سفراء أسماؤهم آيا وكون وبارس.

وفى عهد حاكم الشاتو التركى ٩٣٧ - ٩٤٦ الذى أسس الأسرة الحاكمة الثالثة فى الصين (مؤخر تسين - اوجين) أرسل جن مى (أخوه الأول) سفيراً إلى الصين يدعى آلتون، وليس معلوما عام وفاة هذا الخاقان المذكور فى أى من عهود الأسر الخمسة.

أما فى عهد تانج المتأخرة ٩٤٧-٩٥٢ أو (جوو) المتاخرة ٩٥١-٩٦٠ وعادت الوفود إلى الصين سواء من دولة أويغور لانجو أو من أويغور الغرب ومما يرجح أن هذه الزيارات قد تمت من أجل تطوير العلاقات التجارية.

وإذا كان أويغور قانصو لم يظهروا قدرة عسكرية كبيرة فإن الصين دائماً كانت تخشاهم، واعتبارا فى بدايات القرن العاشر تجمعت قبائل

المانجو وكوريا وكونن القيطان – الذين ظهروا فى صورة عنصر مختلف فى الشمال واستولوا على بعض الأقسام من الصين فى عهد الأسر الخمس خاصة – كوّنوا أسرة حاكمة فى النهاية (أسرة لياو الحاكمة ٩٠٧-١٢١١) وعندما أقاموا الحاكمية فى شمال الصين، دخلت دولة الأويغور تحت نفوذ الطانغوت بعد عام ٩٤٠ وحتى ١٠٢٨م، وفيما بعد فى عام ١٢٢٦ وقعوا فى قبضته جنكيز خان: وأويغور قانصو هم قبيلة تركية معروفة بـ الأويغور الصفر منذ ذلك الوقت ولا زالوا يعيشون فى غرب الصين حتى الآن.

دولة أويغور تركستان الشرقية

كان نكونى تكيينى آخر فوهى تكيني على رأس أتراك الأويغور الذين هاجروا إلى تركستان الشرقية وكانوا قد اختاروا منجلى قاغان حفيد خاقان الأويغور الذى قتله الغزاة من قره بلاساغون عام ٨٤٠م، وأسسوا دولة الأويغور الثالثة داخل أراضى تركستان الشرقية فى عام ٨٥٦. ولقد عرفت الصين توا – والتى كانت تبحث لنفسها عن حلف فى هذه المنطقة التى أرادت أن تاخذها تحت نفوذها ضد هجوم التبتيين – عرفت دولة الأويغور هذه.

فيما بعد اتحدت دولة الأويغور هذه والتى كان يحدها التبت من



الجنوب، ومنطقة القارلوق فى الغرب، وكانت قد اكتفت بالدفاع عن بلدانها ومدنها الرئيسية بش باليق (أوروبجى) وطورفان وكوجار وآقصو وكاشغر وختن وتطورت فى مجال الفن والأدب والتجارة (وكانوا قد كونوا أنفسهم باتحاد قارلوق الترك الذين قبلهم خاقان الأويغور – قبل الإسلام فى كاشغر ٨٨٠م وكذلك باتحاد قبيلة تركية أخرى ذات أصل قارلوقى) – مع الدولة القراخانية واستمر حكمهما حتى اتحدتا مع نهاية القرن العاشر واتحد الأتراك الأويغور الذين هاجروا إلى مناطق (بدى صو) مع الأتراك الأويغور الذى جاءوا قبلهم إلى تلك الأماكن وانتقلوا إلى الحياة المستقرة، والذين وصلوا إلى المناطق الجنوبية من تركستان الشرقية خلال حربهم مع التبتيين (كاشغر وياركند وختن) وكونوا الدولة القراخانية فى عام ٨٨٠م.

الدولة القراخانية

إن بوقاخان هو مؤسس الدولة القراخانية أصل كلمة بوقاخان هو قراخان. أما بوقاخان فهو من أتراك الأويغور – ويولى الدكتور رضا نور عنايته بهم فيقول: «شكلت أسرة حاكمة أطلق عليها زعماء الترك أو خاقانات الترك – وهم من الأويغور أيضاً – شكلت دولة مختلفة وكانوا يعتبرون أنفسهم من آل أفراسياب الذين كانوا أسرة حاكمة تركية قديمة. وابنه هو سوتوق بوغراخان الشهير، ومعروف أن أول حاكم أويغورى هو بوغراخان هذا الذى يتصادف مع القرن العاشر الميلادى. وخلاف

ذلك فإن a.Von gabain صاحب الكلمة فى الموضوعات المتعلقة بتاريخ أتراك الأويغور يؤيد عبارة الدكتور رضا نور هذه ويذكر ما يلى: وقد رسمت صور بعض أشخاص لا يبدون كرهبان يرتدون ملابسهم الملفتة للنظر على جدران المعابد البوذية والمانية فى المنطقة الممتدة من طورفان حتى كوجار، وقد كُتبت تحتها أسماء وألقاب هؤلاء الشخاص، ومعظم الألقاب المستخدمة طارخان وبوغرا وقرا وتيمور (دمير)، ويطلعنا هذا الوضع على وجود الطائفة التى تعتبر نفسها من آل أفراسياب ضمن أتراك الأويغور – وطبقاً لما يفهم من هذه العبارات فإن ألقاباً مثل «قره» و»بوغرا» هى بعض الألقاب التى تصادف بغزارة بين أتراك الأويغور وهناك طبقة من الأرستقراطية الذين يحملون هذا اللقب بين أتراك الأويغور، ويذكر أوقطاى أصلانابا أن موسس الدولة القراخانية أطلقوا على أنفسهم خانات الأويغور قبل الإسلام، والذين أسسوا الدولة القراخانية هم من طبقة الأويغور الأرستقراطية هذه.

اتحدت دولة أرسلان خان فى الشمال والدولة القراخانية فى الجنوب حتى أواخر القرن العاشر، وأصبحتا دولة واحدة، وهكذا تأسست فى تركستان الشرقية لأول مرة دولة تركية ذات علم واحد وتحت رياسة حاكم واحد واكتسبت تركستان الشرقية حق حمل اسم تركستان الشرقية.

وهجم هارون بوغرا خان (من القراخانيين) على تركستان الغربية فى ٩٩٣م وقضى على الدولة السامانية التى كانت تعيش دور الانقراض، ووسعت حدودها من سور الصين العظيم حتى التركستان الغربية، وإذا

كانت تركستان قد ظلت تحت إدارة الدولة القراخانية حتى عام ١٢٤٠م فإن الدولة القراخانية قد انقسمت نصفين مع إعلان بورى تكينى الوالى العام للتركستان الغربية الاستقلال. ونتيجة لهذا الإنقسام أجبرت الدولة القراخانية الغربية على أن تكون تابعة للدولة السلجوقية.

أما الدولة القراخانية الشرقية فقد تعرضت لهجوم أقوام القراخطاى الذين أسسوا دولة كبرى فى شمال الصين وكانوا تابعين للقراخانيين، وبعد أن قضوا على هذه الدولة هاجموا الغرب، وانتهت فى عام ١١٣٧م.

الإدارة المغولية

فى أواخر عام ١٢١٧م تحرك قائد مغولى يدعى جونوبان وأمر جنكيز خان أتراك الأويغور بالانضمام إلى جانبه وسار ضد القراخطاى وفى معيته ٢٠٠ ألف مقاتل، وبعد هزيمة القراخطاى دخل أتراك الأويغور تحت إدارة جنكيز خان. وحصل أتراك الأويغور فى عهد جنكيز خان على مكانة مرموقة. وانتشروا داخل الإمبراطورية المغولية من المحيط العظيم حتى البحر الأسود، وحلوا محلهم، ودفعوا ضريبة الدم عندما تعرض جنود المغول للانكسار فى الحروب. وكان الأويغور هم الذين علموا المغول الحضارة.

وكانت اللغة الأويغورية هى لغة المغول الدبلوماسية، وتراسل كويوك خان (وفاته ١٢٤٨م) مع البابا بالأويغورية، وكان دبلوماسيو المغول من

الأتراك الأويغور أيضاً، وعين السفراء من الأويغور فى روما، وولاة فى الصين ومربين فى بغداد، وعلماء فى عائلة جنكيز؛ وفى القصر المغولى فى تبريز و مهندسين فى الجيوش المغولية، وعلى سبيل المثال فى جيش قوبيلاى ١٢٦٨م فى جنوب الصين.

وقسمت الإمبراطورية المغولية قبل موت جنكيزخان بين أبنائه الأربعة وضمن هذا التقسيم أعطيت وسط تيان شان وتركستان الشرقية لابنه الثانى جغتاى خان، وحكم جغتاى خان وأبناؤه تركستان الشرقية والغربية بين عامى ١٢٢٨-١٣٦٩ من مركز واحد. وبعد أن أسس تيمور فى هذا التاريخ الدولة التيمورية فى تركستان الغربية ظلت تركستان الشرقية فقط فى يد الجغتائيين، وحكمت هذه الدولة ثلاثمائة عام وعاشت حتى سنة ١٧٦٠.

الغزو المانجو- الصينى

فى عام ١٧٦٠ تعرضت تركستان الشرقية للغزو المانجو[1]- الصينى، وأعقبه الغزو المانجو صينى الثانى عام ١٨٧٦ وبعد هذا الغزو المانجو الصينى الثانى ألحقت تركستان الشرقية بالأراضى الصينية فى ١٨ أكتوبر ١٨٨٤، وأطلق على تركستان الشرقية اسم شنجيانغ أو سنكيانغ والتى

[1] يقصد بالمانجو المانشو وهى أسرة منشورية حكمت الصين فى الفترة (١٦٤٤- ١٩١١) وتسمى أيضا أسرة تشينغ.

ترد بمعنى المستعمرة الجديدة، وهكذا يكون قد بدأ أدمى عصر فى تاريخ أتراك الأويغور..

وقد قام أتراك الأويغور بأكثر من أربعمائة ثورة أو عصيان ضد الإدارة المانجو صينية وذلك بكثافة أو بقدر ضئيل بهدف القدرة على العيش فى حرية واستقلال مرة أخرى فى هذا العصر مثلما كانوا يفعلون فى تركستان الشرقية منذ الأزل (من أجل حركات العصيان والمقاومة أنظر:ابراهيم يوسف آلبيتكين قضية تركستان الشرقية، استانبول ١٩٧٣) ويذكر المؤرخون هذا العصر أى عصر الغزو الأول والثانى كواحد من أدمى عصور تركستان الشرقية. وعلى سبيل المثال يذكر بيتر فليمنج فى كتابة المسمى أخبار عن TarTary أنه أكثر من مليون شخص من السكان المحليين بتركستان الشرقية من أتراك الأويغور فى هذا العصر قد قتل.

وعلاوة على ذلك فقد عجز أكثر من خمسمائة ألف من أتراك الأويغور عن أخذ الثأر من الغزاة المانجو صينى واضطروا إلى اللجوء إلى أراضى الاتحاد السوفيتى الحالى، وألقى فى السجن ما يقرب من ٢٠٠ ألف من أتراك الأويغور الذين ثاروا ضد الإدارة المانجو الصينية، وتم نفيهم إلى وادى إيلى(غولجا). ووظف أتراك الأويغور المجلوبون إلى هنا فى أعمال الزراعة والرى وحفر القنوات من أجل تأمين إعاشة الجنود المانجو الصينية المبعوثين الذين يزيدون عن ٣٠٠ ألف جندى من أجل السيطرة على آسيا الوسطى. وهذا هو سبب إطلاق القالموق اسم (تارانجى) التى ترد بمعنى المزارع، على أتراك الأويغور هؤلاء المعروفين بأنهم متفردون جدا

فى أعمال الزراعة، والغالبية العظمى من أتراك الأويغور – المنفيين إلى وادى إيلى هم من المدن الجنوبية من تركستان الشرقية مثل كاشغر وأوج طورفان وآرتوش وآقصو وكوجار.

يقوم أتراك الأويغور هؤلاء بأعمال الطعام والشراب والنقل للجنود المانجو الصينيين الذى يأتون من مسافة ١٨٠٠ إلى ٢٠٠٠ كيلو متر، وإذا كانت قد تكونت دولة استمرت ١٤ سنة تحت إدارة يعقوب بك فى تركستان الشرقية خلال الغزو المانجو الصينى الثانى فإنها لم تستطع أن تتحمل الهجمات المتواصلة للغزاة واندحرت.

الجمهورية فى الصين وتركستان الشرقية

استمر الغزو المانجو – الصينى الثانى حتى عام ١٩١١، وفى هذه الأثناء أقيلت الأسرة الحاكمة للمانجو فى الصين وأعلنت الجمهورية. وبدأ بعض الولاة العموميون الذين استفادوا من القلاقل الموجودة بالصين، بدأوا يديرون تركستان الشرقية على أنها مرتبطة بالصين فى الظاهر ولكن بصورة مستقلة فعلياً. ولقد حكم تركستان الشرقية من ١٩١١ حتى ١٩٤٤ على التوالى ولاة طغاة صينيون ظالمون أمثال يانغ – زنج – شين ١٩١١ – ١٩٢٨، جينج – شو – رين ١٩٢٨–١٩٣٣، شينج – شى – شاى ١٩٣٣–١٩٤٣، جونج شين ١٩٤٣–١٩٤٤. ولقد

ثار على ظلمهم أتراك الأويغور الذين لم يستطيعوا أن يتحملوا إجراءاتهم المجحفة غير القانونية، ثاروا مرتين بالاشتراك مع قبائل تركية اخرى فى تركستان الشرقية ضد حكم جينج – شو – رين أو جونج شين وإذا كانوا قد أسسوا جمهورية تركستان الشرقية المستقلة مرتين إحداها فى ١٢ أكتوبر ١٩٣٣ والثانية فى ٧ أكتوبر ١٩٤٤ فقد قضى على هذه الحكومات القومية فى زمن قصير نتيجة للتحالف السوفيتى الصينى.

وبعد أن انتهت جمهورية تركستان الشرقية المستقلة الثانية نتيجة للتحالف السوفيتى الصينى فقد تاسست حكومة مختلطة تحت رئاسة الجنرال جانغ – جى – جونج فى ١٥ يونية ١٩٤٦. ولكن كان كل واحد من أفراد شعب تركستان الشرقية يريد أن يترأس أحد الأتراك حكومة تركستان الشرقية ويقومون فى كل فرصة بالهجوم على الصينيين وعلى منازلهم، واضطرت الحكومة الصينية القومية – التى اعتقدت بأن الاتحاد السوفيتى سوف يتمكن من الاستفادة من هذا للموقف لمصلحته – اضطرت فى ١٩٤٧/٥/١٩ لأن تقبل الدكتور مسعود صبرى بايقوزى بك رئيساً لحكومة ولاية تركستان الشرقية، وقد استمرت حكومة الدكتور مسعود بايقوزى حتى ١٩٤٨/٨/١٧. واعتبارا من هذا التاريخ فقد نفذت الحكومة الصينية القومية نصيحة الجنرال جانغ – جى – جونج وعينت برهان شهيدى بدلا من الدكتور مسعد صبرى بايقوزى بك. وبعد سنة من تعيين برهان شهيدى واليا عاما للتركستان الشرقية بدأت الوحدات الصينية الحمراء التى هزمت جيش شيانج كاى شين فى الصين فى الاستيلاء على تركستان الشرقية.

القسم الثانى

الأدب الأويغورى

يمكننا أن ندرس الأدب الأويغورى بتقسيمه إلى ثلاثة عصور كبيرة:

١-أدب ما قبل الإسلام

٢-الأدب تحت التأثير الإسلامى

٣-الأدب الذى ظهر تحت التأثير الغربى.

لقد أثر على أدب ما قبل الإسلام مامر به الأويغور من مراحل تاريخية ودينية وثقافية متعددة وهو ما ظهر فى نقوش الكوك تورك، والآثار البوذية والأويغورية والمانية والمسيحية التى خلفها الأتراك.

وتأثر الأدب فى العهد الإسلامى بالأدب الأويغورى والقراخانى والأدب الجغطائى والقازانى وعلى وجه الخصوص الأدب العثمانى.

وأثر على الأدب الذى ظهر تحت التأثير الغربى الأدب العثمانى

الذى اتخذ وجهة جديدة بدءاً من القرن التاسع عشر والأدب القازانى وأدب القفقاس.

الأدب التركى الأويغورى قبل الإسلام

أظهرت الحفريات عدة آثار تخص الأدب التركى الأويغورى نتيجة للأبحاث التى تمت فى أورخون وسلانكا وينبيسى وطورفان وقوجو وكوجار وخوتن وفى بعض الأماكن الأخرى قرب بداية القرن الحالى. والقسم الأكبر مما أمكن دراسته من هذه الآثار التى تتعامل مع الموضوعات الدينية كالبوذية والمانية هو أدعية ونصائح دينية. وقد درست نصوص أدبية خلاف هذا وذلك مثل « قصة حاشتاق بك و» قصة الأخوين « و»الكتاب الذهبى».

وإذا كانت الملاحم القيمة التى تخص هذا العصر قد ضاعت إلا أنه قد تبقت بعض الملخصات فى للمصادر الصينية والإيرانية وهى ملاحم «الأصل» و»الهجرة».

- (أسطورة الأصل) الاشتقاق:

لم يستطع أحد الحكام الأتراك القدامى أن يظلم بناته اللاتى كن جميلات بدرجة لم تشاهد فى جنس الإنسان – بتزويجهم من البشر، وفكر قائلاً «إنهم يليقون بالآلهة فقط»، وأسكن بناته فى قلعة عالية من أجل إبعادهم عن كل البشر، وتضرع للآلهة حتى تتزوجهن.

وجاء إله السماء كوك طانرى متخذاً شكل ذئب أغبر وتزوج من البنات وأنتج النسل الذى ظهر منهم قبائل الأويغور التسع والأويغور العشر (الطقوز أوغوز وأون أويغور).

● (أسطورة الهجرة) :

تزايد الطقوز أوغور(الأوغوز التسعة- تسمية أخرى للأويغور) وزادت قوتهم وأسسوا الدولة الأويغورية، وعاشوا سعداء ببركة نهرى طوغلا وسلانكا، وزادت يوم سقط نور أزرق من السماء على شجرة كانت بين هذين النهرين وقد نشر هذا النور ضياءه شهوراً طويلة فى كل العالم وانتشرت نغمات جميلة فى كل جانب وفى النهاية انشق جذع الشجرة وظهرت خمسة أقسام فى الفرجة التى ظهرت، وكان ينام فى كل منها طفل جميل.

وكان هؤلاء هم الأطفال المقدسين الذين أنزلوا من السماء وأعطى الأويغور لكل منهم إسماً واتخذوا من بوغوخان الذى كان أصغرهم خاقاناً عليهم.

وكان عصر بوغوخان عصر رفاهية وسعة للأويغوريين، ثم مرت سنون طويلة. وذات يوم رغب خاقان الشاب من نسلهم أن يصادق الصينيين. وقرر أن يتزوج من أميرة صينية حتى يوقف الحروب التى كانت مستمرة بينهم.

وقابل الصينيون هذا الطلب بسعادة وهكذا امتلكوا فرصة لتغيير الأحداث الجديدة التى ستأتى بالمصائب على الوطن التركى. وكان هناك موضع صخرى لا ينبت فيه العشب يسمى الجبل المبارك (قوطلوق طاغ) فى موطن الأويغور، وطلبوا هذا الجبل مهراً للأميرة، وارتضى الخاقان الشاب ذلك. وبالطبع كان ذلك المكان جبلاً مقدساً وكان يمد الوطن الأويغورى بالبركة والسعادة، وكان ذلك الجبل رمزاً للوطن.

وحمل الصينيون الصخور صخرة صخرة، وبعدها لم يضحك وجه الأويغور – قط. وضاعت البركة وولت الأدبار وانحسرت الأنهار وصارت الأرض لا تنبت. وحينئذ بدأ كل الناس والحيوانات يصرخون قائلين الهجرة الهجرة. واهتزت الأرض والسماء بهذا الصوت، وكانت هذه لغة الآلهة. وكانوا يطردون الأويغور من أوطانهم التى لم يعرفوا قدرها وتجمعوا حينئذ جميعاً وهاجروا. ولم يتركهم صوت كلمة الهجرة هذه أينما استوطنوا، ومضوا إلى أقصى الغرب.

وفى النهاية وصلوا إلى الموضع الذى به مدينة (بش باليق) واستوطنوا فيه، وتزايدوا من جديد وشملهم النظام وأصبحوا أمة ذات وطنى وذات خاقان.

- **(قصة جاشتانى بك) :**

إن أحد النصوص الأسطورية الناقصة التى تجذب الانتباه من بين النصوص الأويغورية البوذية والمانية هو قصة حاشتانى بك. إن حاشتانى بك هو خاقان، ونظراً لأنه كان خاقاناً فكان يجب عليه فى البداية أن

يواجه الفساد والمصائب التى أراد الجن إدخالها إلى وطن الترك، وأن يحمى شعبه وأن يكون مالكا للدولة.

وقد ذهب حاشتانى بك إلى مفترق الطرق وتحارب معْ كثرة كاثرة من الجن، وهم الجن الذين يأكلون لحوم البشر الذين يلفون أمعاء الشخص الذين شربوا دمه، على جسمه وهم يتركون شعورهم الحمراء المجدولة على أكتافهم ويلقون بأشياء عجيبة، ويأتون بأجسامهم الثعبانية كالجبل. ويدخل حاشتانى فى وسطهم دون أي تردد بالعون الذى أرسله ربه من أجل حماية قومه ويصرخ فى الجان الذين أخذوا يحيطون به.

أيها الجان أخبرونى! بأى حق تقتلون الناس فى بلدى؟ ممن أخذتم القدرة على دخول هذه المدينة؟ انظروا إلى سيفى الحاد هذا سأقطع به أجسادكم وأمزقها إربا ثم أتركها. ولن يضاف هذا الكم من البلاد إلى وطنى.

غضب الجان عندما سمعوا هذه الكلمات الشديدة اللهجة والعدوانية للحاكم حاشتانى، وعمهم الاضطراب، وتسلط الخوف عليهم. وغنوا بعض الأغانى، ممسكين بأيدى بعضهم البعض، وأمسك بعضهم البعض من المرفق وأسدلوا شعورهم الحمراء بلون النار على ظهورهم، وفى أيديهم الدروع والمجانيق وراياتهم التى تشبه اللهب. وبدأوا يضربون حاشتانى بك بالحراب وتحدثوا مع بعضهم على هذه الشاكلة.

«ماذا تنتظرون بعد ذلك؟ اضربوه بالحراب وقطعوه، ومزقوا جسمه إربا وأرسلوه إلى العالم الآخر»

وبناءً على ذلك هجم حاشتانى بك بقوته الشديدة، وأمسك الجن المسمى أورومكى من شعره الذى كان مسدلاً على كتفيه ورفعه إلى أعلى واستل سيفه وفصل رأسه عن جسده.

وعندما رأت تلك الشياطين والجان قوة الحاكم حاشتانى ومنعته وأبهته وسعادته وبهاءه ملأهم الخوف كلية.

الأشعار الأويغورية القديمة

قام علماء التركيات الغربيون بنشر قسم من الأشعار الأويغورية القديمة التى ظهرت خلال الحفريات التى أجريت. وأظهر رشيد رحمتى آرات (١٩٠٠- ١٩٦٩) مؤرخ الأدب التركى، إلى الوجود سبعة وعشرين قطعة شعرية تخص الأويغور فى كتابه المسمى «الشعر التركى القديم» (والمكتوب منها تحت التأثير الإسلامى ٦ قطع شعرية داخلاً فى ذلك أيضاً كتاب الخط) وأظهر أيضاً الشروح والإيضاحات والنصوص المترجمة إلى تركية الأناضول الحالية. والأشعار الأويغورية التى تتخذ مكانها فى هذا المؤلَّف، هى أشعار مكتوبة بالخط الأويغورى، وعشرون قطعة منها تحت التأثير البوذى، وسبعة تحت التأثير المانى، وستة تحت التأثير الإسلامى، وقد تأكد أن هذه الأشعار قد تمت كتابتها بين القرنين الثامن والثالث عشر.

ومعظم هذه الأشعار أو المنظومات التى تحمل أسماء مثل قوشوغ وتوشمه وطافشوت وطاقماق ويير وكوج هى تضرعات دينية ومدائح وصور للموت ولجهنم ونصائح وتضرعات، ولكن من بين هذه النصوص -ربما بصورة تامة فى بعض النصوص-توجد أشعار للطبيعة الشيقة، وأشعار غنائية للحب، وأغانى الشباب (الفتوة) وحكمة...

ولرشيد رحمتى آرات فضيلة هامة فى كتابه المسمى «الشعر التركى القديم» ألا وهى التعرف على أول شاعر تركى أويغورى له مؤلف معروف حتى اليوم وهو يسمى آرينجور تكينى، وقد وجد له قطعتين شعريتين، وقام بتعريفهما لعالم الأدب، ومما يستلفت النظر أن هذا الشاعر قد تربى تحت التأثير المانى فى الفترة الأولى للأويغور، وواحدة من أشعاره هى مدحية فى أسلوب تضرع مكتوب من أجل مانى. أما القطعة الثانية المدونة أسفل فهى من أشعار الحب -ذات طبيعة دينوية وأدبية تماماً- وتختلف عن المنظومات الدينية من ناحيتى الشكل والمضمون. وقد قُبل هذا النص على أنه أول نموذج لأشعار الحب الغنائية فى اللغة التركية.

النص:

الحبيبة التى ليس لها نظير

روحي المحبوبة

قد فكرت فى خطبتك، وأعانى من الشوق

وكلما عانيت من الشوق... يا جميلتى القاسية

إننى أريد أن أصلك

إنى أفكر فى حبيبتى الفريدة

كلما فكرت، وفكرت وتوقفت

أريد أن أقبل محبوبتى.

وإذا قلت أسير.. يا حبيبتى الجميلة

لا أتمكن من السير

يا رحيمتى

ليتنى أدخل يا صغيرتى

ولكنى لا استطيع الدخول أيضاً

يا من لك رائحة العنبر والمسك

فلتأمر الآلهة المضيئة

لا نستطيع فراقاً أكثر من ذلك(مع من توحدنا معه)بعد أن توحدنا مع ذات الطبع الرقيق

ولتمدنا الملائكة الأشداء بالقوة

ولنجلس فى بهجة مع سوداء العيون.

وخلاف ذلك فإن رشيد رحمتى آرات هكذا يذكر أقدم الشعراء الأويغوريين فى هذا المجال سواء المعروف باسمه وسواء المعروف باسم المؤلف فقط وذلك منذ البداية كما سنرى فيما يلى:

١-آرينجو تكينى (يعرف بقطعتين شعريتين)

٢-كول طارقان (يعرف باسمه فقط)

٣- صيغكو شلى طوطونج قام بترجمة رحلة هيوان تشانج الرحالة الصينى المشهور الذى درس اتساع الدول التركية واتساع طقوسها، ترجمها إلى اللغة الأويغورية فى النصف الأول من القرن العاشر. وهذا المؤلف مخبأ فى المكتبة القومية بباريس.

٤- كيكى، ولهذا الشاعر الذى تربى داخل البيئة البوذية قطعتان شعريتان، وشعره التركى القديم موجود فى صفحة ١٨٦ و ١٩٥.

٥ -براتيايان،وله قطعتان شعريتان موجودتان فى صفحتى،١٥٠، ١٥٦من نفس الكتاب

٦ - آصيغ طوطونج، يرد اسمه فى رباعية.

٧- حيصويا طوطونج، له قطعة شعرية سندرسها آنفاً.

٨- كاليم كيشى، ولهذا الشاعر الذى يعتقد أنه تربى داخل البيئة البوذية قطعة رقيقة من الشعر فى صفحة ١٦٤ من نفس الكتاب.

٩- جوجو، لا يوجد لهذا الشاعر الذى ورد ذكره فى ديوان لغات الترك أى شعر. ولكن يظن أن قسماً من النماذج المنظومة التى ساقها الكاشغرى تخص هذا الشاعر.

نموذج من القطعة الشعرية المسماة "زيت الترثرة" لـ حيصويا طوطونج:

إنه يتيح للمريدين معلومات متعددة وأول شئ فيها أن تكون متلونة.

وينثر بذور بعض الطرق السوداء السيئة.

والإنسان العاقل ينتبه كل وقت قبل أن يخطئ أكثر من ذلك.

وهو هكذا يفتح أعظم أبواب النروانا[1].

والأشعار التالية تتحدث عن تركى أويغورى تغرب عن وطنه، ويسأل عن حال الماكثين فى الوطن الأم، وهل هم يبكون من أجله أم لا يبكون (واسم المؤلف غير معروف).

النص :

إن السحب البيضاء ترعد فى كبد السماء
هل كلها ستمطر ثلجاً
وأمى العجوز ذات الشعر الأبيض
هل ستذرف دموعها متألمة.
إن السحب السوداء ترعد فى كبد السماء
هل ستمطر ثلجاً أم مطراً
وأمى العجوز الهرمة
هل ستذرف دمعها بسبب السوق.

---

(1) النرفانا: حالة نفسية ومعنوية لدى المتدينين الهنود.

هل سحب الربيع ستمطر مطرها مانحة الحياة، وترعد فى كبد السماء

هل الزوجات صغيرات السن

سيذرفن دموعهن.

هل سحب الربيع ترعد فى كبد السماء

وهل ستمطر مطراً كثيراً

وهل ستذرف صنو قلبي دموعها

(Bang R.R. Arat, Lieder aus Ait Turfan. AM. IX. 131 den)

الأدب التركى الأويغورى تحت التأثير الإسلامى

حقق الأتراك الأويغوريون تقدماً عظيماً فى مجال الأدب فى العصر الإسلامى مثلما كان فى عصر ما قبل الإسلام. وفيما بين القرنين الحادى عشر والتاسع عشر وفى إطار البيئة الإسلامية أخرج الأتراك الأويغوريون أسماء عظيمة تزيد عن خمس وسبعين، منهم المؤرخ والأديب والقانونى واللغوى وعالم الفلك والكيميائى والطبيب والجغرافى والرياضى والشاعر مثل يوسف خاص حاجب ومحمود الكاشغرى وأحمد يوكنكى وأحمد سيد الكاشغرى ومحمد يوسف بن محتشم الكاشغرى وموللا محمد صادق الكاشغرى ومحمد صادق الياركندى ومحمد صادق ينكى

حصارى وجلال الدين كاتب الياركندى وموللا محمد تيمور الكاشغرى وسَدِّى الكاشغرى وعبدالله السرمنى وموللا موسى الأقصوى وموللا موسى السايرامى وبلال ناظم وعبد الرحيم نزارى ومحمد بابا خوجه الخوتنى ومحمد بن سدير زين الدين الكاشغرى. ومجمل المؤلفات التى كتبها هؤلاء تزيد عن ١٣٠، وجزء كبير من هذه المؤلفات مخبأ حتى الآن فى مكتبة لينتجراد القومية. وإذا كنا سنذكر المؤلفات التى ترجمها العلماء الأتراك الأويغوريون من العربية والفارسية إلى اللغة الأويغورية فإن الرقم الذى ذكرناه سالفا سيزيد عن ٢٥٠.

ومن بين الأسماء التى عددناها فإن المؤلفات المشهورة عالمياً وهى «قوتادغوبيليك» ليوسف خاص حاجب و»ديوان لغات الترك» لمحمود الكاشغرى فقط، فهى معروفة جيداً فى الساحات العلمية. وقد درسها العلماء وقاموا بترجمتها إلى لغة اليوم، ولكن مؤلفات المؤرخين والأدباء والشعراء وغيرهم من الأويغوريين الأتراك الذين ذكرنا أسماءهم آنفاً لم تتم دراستها بالمفهوم الكامل. ونحن نريد أن نعطى نبذات ومعلومات مختصرة عن مؤلفات مجموعة من هؤلاء الأدباء والشعراء بالرجوع إلى الوثائق.

- **يوسف خاص حاجب:(١٠١٩-١٠٨٥)**

ولد يوسف خاص حاجب فى مدينة بلاساغون (كوز أورد) التى هى واحدة من عواصم الدولة القراخانية، وتظن الدوائر العلمية أن يوسف كان مهتماً بالقراءة والكتابة وصاحب معلومات موسوعية قيمة فى سن صغيرة

جداً. وقد أجاد لغات كثيرة خلاف لغته الأم واللغة العربية والفارسية ولغات وسط إيران التي كانت تتحدث في ذلك الوقت في وطنه، وكذلك أجاد فن الكتابة. وغير ذلك فقد قرأ يوسف خاص حاجب مؤلفات الفارابي وابن سينا من مشاهير علماء العصر. وبعد أن أصبح ذا علم غزير كتب يوسف خاص حاجب كتاب قوتادغوبيليك «علم السعادة» الذي اعتبر أول المؤلفات المتميزة لأتراك الأويغور. وقد كُتب هذا المؤلف المخطوط بالخط الأويغوري من أجل الحاكم القراخاني طامغاج بوغراخان (أبو علي حسن قراخان) بين عامي ١٠٦٩-١٠٧٠. ويظن أنه عندما أتم يوسف خاص حاجب هذا المؤلف كان يبلغ من العمر خمسين عاماً. وقد أكمل يوسف خاص حاجب مؤلفه المسمى «قوتادغوبيليك» في مدينة كاشغر وقد أعجب الخاقان كثيراً بهذا المؤلف، وقد سمى يوسف البلاساغوني «خاص حاجب» أي من رجال القصر، وطبقاً لرأى بعض الكتاب فقد سماه «أولوغ خاص حاجب» أي كبير الحجاب.

وفي الدوائر العلمية تعرف ثلاثة نسخ للمؤلف المسمى «قوتادغو بيليك» ليوسف خاص حاجب، وقد اكتشفت نسخته الأولى في استانبول في العشرينات من القرن التاسع عشر، واكتشفت النسخة الثانية في القاهرة في سنة ١٨٩٧ واكتشفت النسخة الثالثة في ولاية نامانغان بأوزبكستان في سنة ١٩١٤. وقد قام بدراسة هذا المؤلف ليوسف حاص حاجب علماء مشاهير مثل جوزيف فريهر، وفون هامر بورجستال، وآريني فامبرى وويلهام رادلوف وويلهام طومسن وسيرجى مالوف والأستاذ زكى وليدى

طوغان، وم.دل آجار، وقاموا بترجمتها إلى لغتنا الحديثة.

وتدل كتابة المؤلف المسمى «قوتادغوبيليك» باللغة التركية قبل أن يكتب باللغة العربية التي كانت منتشرة جدا فى ذلك العصر وعرفت بأنها لغة أدبية، وقبل أن يكتب باللغة الفارسية، تدل على قوة إحساس يوسف خاص حاجب بالقومية على أنه كان متحيزاً للتحديد. ويفسر المؤرخون هذا الوضع على أنه كان مطلب ذلك العصر أما اللغويون فيفسرونه على أنه إعادة إحياء اللغة الأم.

• محمود الكاشغرى: (١٠١٩-١١٣٤)

ولد محمود الكشغرى فى كاشغر عاصمة الدولة القراخانية. ومن المعروف أنه فى كتابة المسمى «ديوان لغات الترك» وطبقاً للمعلومات التى أفردها عن نفسه فإن محمود الكاشغرى قد كتب ذلك المؤلف فى بغداد فى سن متأخر عام ١٠٧٢، وأنه كان قد قدم ذلك المؤلف للخليفة أبو القاسم عبد الله (المقتدى بأمر الله).

والمؤلف المسمى «ديوان لغات الترك» لمحمود الكاشغرى هو دائرة معارف نظمت طبقاً للترتيب الأبجدى للهجات التركية المتعددة المكتوبة والمتحدث بها فى زمانه، وقد زين بالنصوص النثرية المنظومة والنماذج وبعض الوقائع، و»ديوان لغات الترك» هو قاموس يعطى للمقابل العربى لسبعة آلاف وخمسمائة كلمة تركية فى نفس الوقت، وقد وضع الكلمات طبقاً للترتيب الأبجدى، ونظمت الجمل من أجل أن تفهم معانيها جيداً

وقد سجل بكثرة أشياء مثل الحكمة والسجع والمثل والشعر المتعلق بكل كلمة. وقد أخرج هذا الوضع مؤلفه من صفة قاموس بسيط، ورفعه إلى درجة دائرة المعارف الثمينة، وبهذه الصورة حفظ تراث اللغة التركية والثقافة التركية القديمة.

إن محمود الكاشغرى الذى تجول خطوة بخطوة بين القبائل التركية فى ذلك العهد قد أمدنا بمعلومات وفيرة عن التاريخ التركى وأساطيره وعن الجغرافيا والأدب الشعبى معنى الفولكلور. وقد أرسى أسس علم التركيات، وأوضح القواعد الهامة للغة فى الكتاب. وقد زود بالتغيرات الصوتية وحالات الاسم وبالنماذج الغنية خاصة بنائيات الفعل. ومحمود الكاشغرى عالم لغوى متمكن فى نفس الوقت، وهو يقسم اللهجات التركية الأدبية لذلك العهد إلى اللهجة الشرقية (الخاقانية) واللهجة الغربية (الأوغوزية)، ولم يفقد هذا التصنيف قيمته حتى اليوم.

وقد قام بترجمة طبعة ديوان لغات الترك الموجودة فى أيدينا اليوم بسيم أطالاى (١٩٣٩ - ١٩٤١). وقد صدر ضمن نشريات مجمع اللغة التركية، وهى عبارة عن خمسة مجلدات ثلاثة منها أساسية، وواحدة طبعة أصلية وواحدة أيضاً عبارة عن فهرس.

● **الأديب أحمد يوكنكى:(١١١٠-١١٨٠)**

الأديب أحمد بن محمد يوكنكى هو أديب تركى أويغورى آخر معروف فى الدوائر العلمية. وإذا قيل أن أحمد يوكنكى قد ولد فى مدينة

يوكنك، فإنه يمكن التأكد حتى الآن من مكان مدينة يوكنك هذه[1]. وكتابه المعروف فى الدوائر العلمية هو الكتاب المسمى "هبة الحقائق" أو "عتبة الحقائق"، ومما يظن أن هذا المؤلف كان قد كُتب فى أوائل القرن الثانى عشر. وقد قام بتقديم «عتبة الحقائق» إلى عالم العلم نجيب عاصم سنة ١٩١٨، وقد تولى النشر العلمى الأستاذ رشيد رحمتى آرات عام ١٩٥١م، وقام بترجمته إلى التركية الأناضولية.

وإذا قارنا النسخ الموجودة للمؤلف، فإن «عتبة الحقائق « طبقاً لرأى الأستاذ رشيد رحمتى آرات الذى نشره بشكل علمى هو كتاب منظوم فى الأخلاق وفى اللغة التركية (مثل قوتادغوبيليك) وقد صنف من أجل تربية الأفراد داخل إطار ثقافة البيئة التركية الإسلامية. وقد خضع القسم الذى كُتب فى صورة مدخل للكتاب ويتعلق بالله عز وجل وبالرسول صلى الله عليه وسلم وبوفاة الصحابة الأربعة، وخضع للقافية فى شكل جميل وعلى طراز القصيدة. أما القسم الذى يشرح الموضوع الرئيسى فقد كُتب بالرباعيات (a-a-x- a) فى شكل ذى قافية وعلى شاكلة المانى mani. وأحمد يوكنكى هو كاتب منظومات تعليمية تمدنا بمعلومات أخلاقية ووعظية أكثر من مجرد شاعر خيالى ذى إحساس رقيق، وقد أكد على الأعراف التركية والمبادئ الإسلامية، وقد ساق المبادئ الأساسية القائمة على العلم والكرم والفضيلة.

---

[1] "يوكنك" منطقة تابعة للقراخانيين الغربيين.

"رباعيات من عتبة الحقائق"

عن الكتاب :

إسمى الأديب أحمد، كلامى هو الأدب والنصيحة، وتمضى روحى، ويبقى هنا كلامى، ويمضى الربيع ويأتى الربيع ويمضى هذا العمر، وينقضى عمر الربيع.

عن العلم:

يعرف الأشخاص بالعلم، والجاهل يعتبر مفقوداً بينما هو حى، وإذا مات العالم فإن اسمه لا يموت، وعندما يكون الجاهل سليماً معافى فإن اسمه ميت.

عن الكرم:

إن الصالح من هذا الشعب هو الشخص الكريم، إن الكرم يزيد الشرف والرتبة والجمال، وإذا أردت أن تكون محبوباً بين الناس كن كريماً، فالكرم يجعلك محبوباً.

- **عبد الفاضل محمد بن عمر:**

ليس من الممكن أن نعرف على وجه القطع تاريخ ميلاد ووفاة هذا الكاتب الكاشغرى وهو مؤلف الكتاب المسمى «القاموس المصنف» Essurah,Minelshah، وقد أُلِّف الكتاب فى كاشغر فى

سنة ١٢٨٢م باللهجة التركية الأويغورية. وهذا المؤلف الذى يقدر عدد صفحاته بمائتين وأربعة وستين صفحة مخبأ حتى الآن فى معهد العلوم الشرقية فى الاتحاد السوفيتى.

● **ميرزا محمود جوراسى:**

هذا المؤلف الياركندى هو مؤلف الكتاب المسمى تاريخ خانات المدن الستة، وقد كُتب هذا المؤلف طبقاً لرغبة اسماعيل بك حاكم ياركند بين عامى ١٦٧٠- ١٦٨٢م، ويروى المؤلف فى أثره هذا الأحداث والوقائع فى تركستان الشرقية فى القرون ١٥ حتى السابع عشر، وجوراسى هو مؤلف الكتاب المسمى «تاريخ رشيدين» فى نفس الوقت. ومن المقبول أن يكون الكتاب السابق بقية للكتاب المسمى «تاريخ رشيدي»، وقد كُتب هذا المؤلف أيضاً باللهجة التركية الأويغورية.

● **مولانا هاشم الياركندى :**

هو مؤلف كتاب «كشف الأسرار» وموضوعه علم الفلك، ويمدنا المؤلف فى هذا الكتاب المكتوب باللهجة التركية الأويغورية وعدد صفحاته ٢٦٠ صفحة بمعلومات عن النجوم المتعددة ويقوم بحساب السنة والشهر واليوم.

● **مولانا محمد آواز صدر الدين قره قاشي:**

هذا الكاتب-الذى هو من قضاء قره قاش بمدينة خوتن- مؤلف

كتاب مجمعة الأحكام (ملتقى طرق تعلم النحوم)،وقد كُتب المؤلّف فى قره قاش فى القرن الخامس عشر إلى السابع عشر.

وخلاف هؤلاء يجب أن نذكر أن حلال الدين محمد طبيب كان له كتابان يسميان الرسالة القشيرية ومقياس الأصالة (عن تقويم الوقت) وأن باباء الدين أحرارى كان له كتاب يسمى الرقم نجوم (حساب النحوم) وذلك فى مدن كاشغر وياركند وخوتن بتركستان الشرقية فيما بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر.

الشعراء الأتراك الأويغور الكلاسيكيون

- خرقتى:

عاش خرقتى- وهو من الشعراء الذين لهم رصيد لا ينتهى فى ارتقاء الأدب التركى الأويغورى الكلاسيكى – فى كاشغر بين عامى ١٦٣٤، ١٧٢٤. وفى سنة ١٦٧٠ ألّف كتابين عنوانهما «محبتامه» و«مهنتكام» وقد عمل الشاعر فى مؤلفه هذا على إظهار أهمية الحب والعمل وأهمية العلاقة الشديدة بين هذين العنصرين وطبقاً لرأيه فإنه يجب أن يكون العمل دائماً صديقاً للإنسان، لأن الإنسان يستطيع فقط أن يصل إلى الحب عن طريق العمل والحب الطاهر يجعل الإنسان ذا صفة راقية ويجعله ذا أخلاق.

● زليلى:

يرجع إبداع زليلى الشاعر التركى الأويغورى المتألق بالقرن الثامن عشر من حيث أضافت أشعاره الغنائية التى كتبها بمهارة رصيداً فى إثراء الأدب التركى الأويغورى الكلاسيكى، وليس معروفاً متى وأين ولد زليلى، ويظن أنه ولد فى مدينة ياركند، ويجب أن يكون تاريخ ميلاده ١٦٧٤، ويفهم من أشعاره أنه كان يعرف العربية والفارسية جيداً، وتغلب على مؤلفات زليلى تعبيرات تحث على العدل والحقيقة إلى جانب تعبيرات الحب والغم والكدر والشوق. وهناك احتمال كبير أن يكون زليلى قد عاش حياة رحالة. ويفهم من المعلومات التى أمدنا بها فى مؤلفاته أنه تجول من شمال تركستان الشرقية إلى جنوبها ومن غربها إلى شرقها. وقد عاش زليلى فى مدن رئيسية للتركستان الشرقية مثل كاشغر وآقصو وكوجار وطورفان وقومول وخوتن، ودرس وضع شعبها فى موقعه وقد حمل موضوع الغنائية أساسا فى إبداع زليلى. ويتحدث زليلى عن الحب الطاهر النابع من القلب فى كل مؤلفاته تقريباً، ولهذا فإن عدم الوفاء والمراعاة أشياء غريبة.

● نَوبَتى:

دخل نوبتى الذى كان معاصراً لزليلى تاريخ الأدب التركى الأويغورى الكلاسيكى كواحد من الشعراء الغنائيين ذوى المكانة المرموقة. ولد نوبتى فى مدينة خوتن بتركستان الشرقية. ودرست مؤلفاته فى مدارس كاشغر

جنباً إلى جنب مع مؤلفات على شير نوائى. ويمثل تعبير «الحب» للموضوع الأساسى فى مؤلفات نوبتى، وينصح فى مؤلفاته ألا يقضى الناس أوقاتهم الثمينة هباءاً، وأن يتركوا ذكرى حسنة فى مدة بقائهم فى الحياة.

إن القرن التاسع عشر هو واحد من أكثر عهود تركستان الشرقية ابتلاءاً، وقد قام مسلموا تركستان الشرقية الأتراك الذين لم يستطيعوا أن يتحملوا مزيداً من ظلم صينيى المانجو قاموا بالثورة عدة مرات بهدف أن يتمكنوا من العيش أحرارا مستقلين: فعلى سبيل المثال قام شعب تركستان الشرقية بين عامى ١٨٢٥، ١٨٢٦ تحت رئاسة جهانكير خوجه بالثورة ضد الغزاة المانجو صينيين. ولكنهم لم يستطيعوا أن يتحملوا كثرا أمام المانجو صينيين الذين كانوا متفوقين عليهم فى العدد والجنود والسلاح، وانهزموا وأحضر جهانكير خوجه إلى بكين وقتل.

وإذا كان الأويغور الأتراك قد هزموا، إلا أنهم قد داوموا على ثوراتهم القومية. ولقد كانت إجراءات المانجو صينيين المجحفة والظالمة هذه فى تركستان الشرقية واحدة من الموضوعات الرئيسية للأدب التركى الأويغورى وكلاسيكياته فى ذلك العصر. ولقد اشترك معظم أصحاب هذا النوع من المؤلفات بالفعل فى هذه الثورات القومية أو أنهم كانت لديهم القدرة على المتابعة عن قرب.

ويمكن أن نعتبر المؤلفات المسماة «تاريخ أمنية» للشاعر الكلاسيكى موسى سيرامى، و»تاريخ يعقوب بك» لخوجه يوسف «كتاب غزاة

در ملك حينى» على رأس المؤلفات التى تصور وضع أتراك الأويغور فى القرن التاسع عشر، وقد صور كتاب هذه المؤلفات الأحداث التى وقعت فى كل أنحاء تركستان الشرقية وقد أكملت نفس الأحداث فى هذه المؤلفات بعضها دون تكرار، وإذا كان الكتاب قد ساقوا أفكاراً مختلفة، فإنهم جميعاً يتفقون فى أمر واحد بشأن الوضع الحقيقى للشعب.

● عبد الرحيم نزارى :

يظهر شعراء أتراك أويغوريون مثل الشاعر آخون عرشى وخصلة الكاشغرى على الساحة الأدبية فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر.

أما فى النصف الأول من القرن التاسع عشر فيظهر شعراء أتراك أويغوريون مشهورون مثل عبد الرحيم نزارى وطوردى غريبى وضيائى وصبورى ولا شك فى أن عبد الرحيم نزارى يحتل مكانة هامة فى الأدب التركى الأويغورى الكلاسيكى فيما بينهم. وقد ولد عبد الرحيم نزارى – مؤلف مجمع الملاحم العظيمة ومؤلفات أخرى – فى حى بولاق باشى بكاشغر فى سنة ١٧٧٠، وبعد أن تعلم عبد الرحيم نزارى القراءة والكتابة، استمر فى تعليمه فى مدرسة الخانية، وقرأ فيها مؤلفات أدباء وكتاب وشعراء الشرق المشاهير مثل الفردوسى وعبد الرحمن الجامى (مولانا) وعمر الخيام ونظامى وعلى شيرنوائى. وتعلم فى تلك الفترة اللغة العربية واللغة الفارسية.



وكانت كتابته الخطوط الجميلة يبلغ قدر كتابته الشعر، وطبقاً للوثائق التى بين أيدينا، فإن عبد الرحيم نزارى كان ماهراً جداً فى تحسين الخطوط بنفس القدر الذى كان به شاعراً، وأفضل دليل على معرفة عبد الرحيم نزارى لمؤلفات كتاب الشرق المشهورين عن قرب هو كتابته لما يقرب من أربعين غزلية لعلى شيرنوائى، وكتب الملاحم رداً على خمسات نظامى وعلى شيرنوائى التى كانت معروفة لعالم الشرق، وأراد أن يثبت إلى أى مدى كان شاعراً مقتدراً، وذلك لأن الأساتذة العظام فقط هم الذين كانوا يجرؤون على كتابة الخمسات (خمس قصص) هكذا ، وقد أوجد عبد الرحيم نزارى وأصدقاؤه واحدا من الإبداعات المشهورة للأدب التركى الأويغورى المسماة قصص الحب.

وقد اكتسب نظامى الشاعر الآذرى الذى عاش فى القرن الثانى عشر كما هو معروف – اكتسب الشهرة لكتابة خمسته (الخمس قصص) للمرة الأولى فى الشرق. وطبقاً للرأى المقبول فإن القصص الخمسة المنظومة فى أزمنة مختلفة كانت تكتب على هيئة كتاب واحد. وقد كتب خسرو دهلوى – الذى عاش فى الهند فى أوائل القرن الرابع عشر – كتب رداً على خمسة نظامى أى خمسة قصص فى الوزن وفى الموضوع اللذين فى مؤلف نظامى ولكن مختلف تماماً فى موضوع اجتماعى. وطوال القرون حاول العديد من الشعراء إبداع الخمسات ولكن لم يجرؤ على هذا شاعر قط بعد مؤلفات شعراء مثل نظامى وخسرو وجامى ولكن علي شيرنوائى أحيا هذا التقليد من جديد فى القرن الخامس عشر، وأبدع الخمسة التى

سار على منوالها الكثير فى آسيا الوسطى وتركستان الشرقية.

إن عبد الرحيم نزارى الذى ظهر على الساحة الأدبية كشاعر مشهور فى النصف الأول من القرن التاسع عشر بالاشتراك مع الشعراء الأتراك الأويغور المتمكنين مثل نوروز آخون ضيائى وطوردى وغريبي قد أوجدوا العديد من القصص العظيمة من الخمسات فيما بين عامى ١٨٤١، ١٨٤٢م.

وتدخل على هذه المجموعة من القصص المسماة قصص العشق «فرهاد وشيرين» و»ليلى والمجنون» ورابعة وسعدين» و»واموق وأزرا» و»المحزون» مجموعة أخرى من القصص مثل «كُلنسا» و»مسعود ودلارا» و»شاه بهرام». و»جهار درويش»، ويوجد فى مجموعة القصص هذه ما يزيد عن ٥٠ ألف مصراع من الشعر وسنكتفى هنا بأن نحاول تحليل قصة رابية وسعدية التى هى ضمن مجموعة هذه القصص – بشئ من الاختصار.

إن مؤلف عبد الرحيم نزارى المعروف فى الدوائر الأدبية والذى يتخذ مكانة بين هذه المجموعة القصصية، هو القصة المسماة رابعة وسعدين، وتجيى الوجهة الواقعية فيه ذكرى الحادثة التى أصبحت عبارة عن هذا المؤلف القوى جداً حتى أن الشاعر يعرفنا بالمكان والتاريخ اللذين وقعت فيهما الحادثة المفجعة فى المؤلف.

يروى فى القصة حكاية عاشقين ووضع اللذين تصارعا من أجل عشقهما المبتلى بالمحن وقدرها وعلاقاتهما مع المجتمع، ويفهم من



موضوع القصة أن هذه الحادثة وقعت فى مدينة كاشغر بين عامى ١٨٣٢، ١٨٣٣، وهناك فائدة من ذكر هذه النقطة هنا منفردة، ذلك أن الصراع الذى أذكى ناره هذان الشابان اللذان يصورهما الشاعر وذلك من أجل الحب الطاهر كان خطوة عظيمة لم تكن قد اتخذت حتى ذلك العصر وكانت نموذجاً للشجاعة، وهكذا فإن قيمة القصة ها هنا.

ويتناول عبد الرحيم نزارى فى ملحمته رابعة وسعدين مبادئ القومية والحرية مثلما كان الحال فى مؤلفات شعراء ومفكرى الشرق المشاهير مثل نظامى وعلي شيرنوائى اللذين عاشا قبله.

ويبدو أن عبد الرحيم نزارى قد راعى تماماً القوانين والأسس التى كانت مستقرة فى الأدب الشرقى وذلك فى أسلوب الملحمة. وقد كتب بوزن العروض خلال ملحمة رابية وسعدين. والشاعر يجعل أبطاله يتحدثون بلغة تخصه فمثلا يقوم أبو رابية بحركة مستهجنة جدا بين العائلة. وتصويره للبكاء بأصول بديعية على قدر كبير من التأثير.

ويعرض الشاعر فى الملحمة قوتين معارضتين لبعضهما، بالحب والعدالة الإنسانية والتواضع، والخسة والزيف من ناحية أخرى. ولقد عبر عبد الرحيم نزارى أحسن تعبير عن الظلم والفوضوية والإجحاف أيما تعبير فى ملحمته، ذلك لأنه كان الشاعر الذى رأى عن قرب

ظلم الأسرة الحاكمة المانجو – صينية التى أخذت تركستان الشرقية فى قبضتها، وكذلك شاهد حركاتها الظالمة المجحفة.

● نوروز آخون ضيائى:

إننا لا يمكن أن نتصور تاريخ الأدب التركى الأويغورى المكتوب قبل أن يصبح «قصصاً للعشق» إن هذا غير ممكن، وليس فى الإمكان أيضاً أن نذكره بدون نوروز آخون ضيائى الذى كان واحدا من الشعراء الذين كان لهم إسهام كبير فى ظهوره. وليست بين أيدينا أية معلومات صريحة لترجمة حال نوروز آخون ضيائى الذى كان واحدا من الشعراء الأتراك الأويغور العظام. ولكنه من المعروف أنه كتب بمجموعة ملاحم عظيمة مع عبد الرحيم نزارى وطردى غريبى، ويذكر اسم نوروز آخون ضيائى فى عدة مواضع من المؤلف المسمى «قصة العشق» وينبغى أن نؤمن بانه كان شاعرا مجيداً لأنه عمل مع شعراء اتراك أويغور مشهورين مثل عبد الرحيم نزارى وطوردى غريبى. والقصة الثانية فى وامق وعزرا ومسعود ودلارا وجهار درويش الموحودين فى المؤلف المسمى قصص العشق يخص نوروز آخون ضيائى. وتعطينا هاتان القصتان التى تتكون أولاها من ستمائة مصراع والثانية من ألفين وخمسمائة مصراع، تعطينا فكرة عن الأسلوب البديع الرائع وكفاءة الكاتب ومهارته.

وقد كتبت قصته وامق وعزرا لنوروز آخون ضيائى بشكل خاص بتقاليد الأدب الشرقى. وموضوع هذه القصة بإختصار هو كما يلى:

كان لأحد ملوك الهند ابنة جميلة تسمى عذرا، ويصور الشاعر نوروز آخون ضيائى جمال عذرا كما يلى:

كان يوجد فى القصر رجل عجوز يغسل ملابس الملك، وكان له ابن يسمي وامق. وقد تربى وامق كشاب ذكى جداً وذو خلق حسن، وكان كثيراً ما يساعد أباه فى غسل الملابس، وبينما كان وامق يومًا من الأيام يغسل الملابس مع والده رأى القميص الحريرى لعذرا بنت الملك وأصبح وامق الذى انجذب للرائحة الجميلة التى فى هذا القميص الحريرى – أصبح عاشقاً لعذرا قبل أن يراها، ويعبر نوروز آخون ضيائى عن هذه الرائحة الجميلة فى هذه المصاريع.

بالرغم من تفكيره ليل ونهار فى عذرا إلا أن وامق لم يكن يأمل على الإطلاق فى إمكانية رؤيتها أو إمكانية الوصول إليها. ومع أن الأب الذى رأى حالة ابنه الشديدة، وكان يعمل على تسليته بالضرورة، إلا أن هذا لم يكن مجدياً قط، ويعبر الشاعر نوروز آخون ضيائى هكذا عن أى نوع من التسرية عنه لم يكن سيجدى فى السطر التالى:

أن الماء يكون بلا نفع، إذا ما كان العشب كثيراً
أما الاكتواء بنار العشق فيصوره وامق هكذا:
لقد أحرقته نار العشق
وجعلت روحه مشتعلة كالموقد

إن وامق الذى تعذب على هذه الشاكلة قد مات دون أن يتمكن

من رؤية عذرا وقبل أن يصلها. وأوصى وامق قبل أن يسلم الروح أباه أن يدفنه فى مكان تخرج إليه عذرا للتحول من وقت إلى آخر ونفذ أبوه رغبة ابنه الأخيرة هذه، ورأت عذرا قبر وامق بينما خرجت للتنزه ذات يوم فتأملت وسألت لمن يكون هذا القبر فحكى لها العالمون بالخبر عن الموقف وحكوا لها الواقعة. ومرضت عذرا التى استاءت جداً من هذا الأمر، من حزنها، وماتت بسبب عدم إمكانية إنقاذها. وأوصت قبل أن تموت بأن تدفن إلى جوار وامق، وهكذا يكون مغزى القصة وقصة مسعود دلارا وهى للمؤلف لنوروز آخون ضيائى لها نفس الموضوع تقريباً. ويتضح فى نهاية المؤلَّف أن نوروز آخون ضيائى هو الذى كتب هذه القصة وهو بنفسه يقول عن كتابته لها.

تعالى أيها الساقى وقدم الكأس لضيائى.

ولقد ظل نوروز آخون ضيائى مرتبطا بالمبادئ الجمالية والفكرية للشعراء المشهورين مثل على شيرنوائى وعبد الرحيم نزارى، ويبدو من خلال مؤلفيه هذين أنه أراد بكل وضوح أن يعمل على استمراريتها.

ولم يكرر نوروز آخون ضيائى الشاعر التركى الأويغورى الشهير فى مؤلفاته أسلوب الشعراء الذين عاشوا قبله بطريقة آلية حينما ظل مرتبطاً بهذه المبادئ، بل على العكس من ذلك فإنه قد عمل على استمراريتها وتطويرها، وعلى تقوية الوضع الرومانسى الإنسانى فى تلك المؤلَّفات.

ولقد حمى نوروز آخون ضيائى بمؤلفه وامق وعذرا ومسعود ودلارا،

أستاذه عبد الرحيم نزارى وكذلك حمى أفكاره تماماً، وبهذا يكون قد طور الأدب التركى الأويغورى إلى حد بعيد.

- **سيد محمد كاشي:**

إن سيد محمد كاشي هو أحد الشعراء الأتراك الأويغور من القرن التاسع عشر وقد صنع سيد محمد كاشي شهرته بمؤلفه المسمى»شرح شكسته أو بيان المصيبة «الذى ألفه بجوار نهر إيلى الموجود فى منطقة الأتراك الأويغور «يدى صو» ولا يعطينا بانطوصوف العالم السوفيتى الشهير الذى نشر مؤلفاته لأول مرة، لا يعطينا معلومات متعددة عن سيد محمد كاشي. ومن الممكن فقط أن نعرف وقت كتابة ترجمة حاله، ومؤلفه الذى مر ذكره آنفا.

وقد أتمت قصته هذه في تاريخ ١٨٨٢-٣-٨ طبقا للمعلومات المعطاة في نهاية المؤلف المسمى «شرح شكستة» إثبات الجزء الثالث من المؤلَّف فيقال «زاد عمرى عن الستين، ولم تعد بى قوة، ونظراً لأن سن الشاعر فى سنة ١٨٨٢ أى عندما أنهى المؤلَّف كان قرابة الستين عاماً، فمن الممكن أن نخمن أنه ولد فى سنة ١٨٢٢م. وطبقاً لما هو مذكور فى موضع آخر من نفس المؤلَّف أيضاً فإنه كان طفلاً لعائلة فقيرة. وإذا كنا سننظر فيما كتب فى المؤلَّف المسمى شرح شكستة(بيان المصيبة) فقد جاء سيد محمد كاشي مع الأتراك الأويغور الآخرين الذين هاجروا من أراضى تركستان الشرقية إلى منطقة جلك الواقعة داخل أراضى الاتحاد

السوفيتي الآن. وليس من الواضح عما إذا كان للشاعر مؤلفات غير المؤلف المسمى «شرح شكستة» من عدمه، وكذلك متى وأين توفى أما إذا كنا سنأخذ بعين الاعتبار أن مؤلفه كُتب بمهارة شاعرية، فإننا يمكن أن نخمن أنه يمكن أن يكون قد كتب مؤلفات أخرى.

ومؤلف الشاعر المسمى شرح شكستة هو عبارة عن خمسة أقسام، كُتب ثانيهم فى شكل مثنوي أما الأقسام الأخرى ففى شكل المخمسي، وخمس المؤلف فقط عبارة عن ٥٤٠ سطراً. وإذا كان المؤلف يصّور هجرة الأتراك الأويغور إلى ولاية "يدى صو" فقد نجح الشاعر فى أن يخرج خارج هذا الموضوع بتمكن شديد، وعبرّ عن الآلام التى عاناها شعب تركستان الشرقية عند احتياز الحدود وعن آمالهم ورغباتهم بلسان فصيح وواقعي. ومثلما هو معروف فإن الغزاة المانجو صينيين قد سحقوا شعب تركستان الشرقية وبلغ التحكم أبعد حدوده ووصل الظلم إلى درجة لا يمكن تحملها. وهكذا فإن سيد محمد كاشى قد أحيا بلسان فصيح، الآلام التى عاناها أتراك الأويغور من الغزاة المانجو صينيين فى كتابه وميزة أخرى لسيد محمد كاشى هي ارتباطه بشعبه ووطنه بدرجة فائقة، ومع أن الشاعر يتحدث عن الوضع اليائس لشعبه من خلال كتابه المسمى «شرح شكستة» إلا أنه لم يقطع الأمل إطلاقاً من أنهم سوف ينتصروا ويصلوا فى يوم من الأيام.

ويبين مؤلف سيد محمد كاشى أنه شاعر مجيد ومتمكن، وقد كتب هذا المؤلف بلغة جميلة جداً ومعظم الشعر له رؤية جمالية حقيقية. فمثلاً

يُحس فى بعض مواضع من المؤلَّف أنه بسبب عدم القدرة على تحمل الظلم المانجو صيني وبسبب هجرته إلى الأقطار الخارجية، يُحس بمنتهى التأثر بوداعه لوطنه، لقد كان سيد محمد كاشى معبرا قومياً حقيقياً عن شعبه. ولهذا فإنه لم يستطع أن يذهب ويتركه فى المحنة وحيداً. وهو يوحِّد قدره وقدر شعبه. ويتحدث هكذا: إن حزننا لن يدوم ولن يستمر ذلنا هكذا ومهما كانت أسبابه، فإن هذا الوطن يدرك أنه زائل».

ويشكو سيد محمد كاشى فى عدة مواضع من مؤلفه المسمى بيان المصيبة من المصائب الأليمة التى حلت بوطنه وأمته. وهو يتضرع إلى الله من أجل إنمائها. وهذه أيضاً نقطة توضح أنه كان مرتبطاً جداً بدينه.

● طوردى غريبى:

وطوردى غريبى هو أحد الشعراء الأتراك الأويغور الذين اكتسبوا الشهرة، فى النصف الأول من القرن التاسع عشر. وليست لدينا معلومات كافية عن ترجمة حاله، ولكن من المعروف أنه اشترك مع عبد الرحيم نزارى ونوروز آخون ضيائى فى كتابة مجموعة القصص المسماة قصص العشق، وبالإضافة إلى ذلك فإن طوردى غريبى هو مؤلف قصة «شاه بهرام» والمؤلَّف المسمى «كتاب غريبى». ولطوردى غريبى أيضاً الكثير من الغزليات التى قام بكتابتها. ويمكن قراءة السطور التالية فى نهاية قصته كتاب غريبى سالفة الذكر:

عندما أصبحت كاشغر تحت حكم الملك

وكان القصر والجاه لا يرغب فيهما، اذا تكلم
ولما أصبح هو نفسه ملك الملوك
وهاجته للمنية، ومات القلب
تملك تاج العرش من يدعى ظهور الدين
وسارت الشريعة فى زمانه
لقد أتعبتنى الغربة فى هذا العالم
وكان اسمي طوردي وغريبي هو اللقب،
ولما ذهبت لراعي الرعية
سمعت أوامره وفرماناته
وعرضت عليه كتاباتى
وعجباً!!، ما أكثر الذنوب فى هذا العالم
وسميته «كتاب غريبى»
فاعتبروا بى، وبغربتى أيضاً
واعلموا أنى كمن صعد مائتين وخمسين جبلاً.

ومن هذه النبذة نستطيع أن نخمن أن اسم الشاعر طوردى، ولقبه غريبى، وأن القصة كتبت فى سنة ١٢٥٧ هجرية وبين عامى ١٨٤١، ١٨٤٢ ميلادية. وقد كُتب للمؤلف بأمر ظهور الدين حاكم كاشغر. وطبقاً لهذا نستطيع أن نتقبل أن للمؤلف قد كُتب فى كاشغر، لأنه يتضح من السطور السابقة أن الشاعر عاش فى قصر الحاكم.

وليست هناك معلومات عن حياة الشاعر وعناصره الفنية، ولكننا

يجب أن نضيف نقطة هنا، وهى أن طوردى غريبى قد أصبح عالماً عظيماً فى عهده. وعلى سبيل المثال نستطيع أن نعرض مؤلفه المسمى «شاه بهرام» وهو أهم أعماله لأننا حينما نقرأ مؤلفه المسمى «شاه بهرام» نرى أن الشاعر كان صاحب علم غزير بصدد القبائل التركية الأخرى وأدباء وشعراء الشرق المشاهير وخاصة مؤلفات على شيرنوائى، وإذا كان هناك كتاب آخر يؤيد أن درجة علم طوردى غريبى كانت سامية فهو كتابه المسمى «كتاب غريبى». ولنلقى الآن نظرة سريعة على المؤلَف المسمى «شاه بهرام» لطوردى غريبى. الذى لم يُدرس بعمق حتى اليوم، وذلك بالرجوع إلى المواد الموجودة تحت أيدينا.

صادف شاه بهرام الذى خرج للصيد فى يوم من الأيام – درويشاً وسأل شاه بهرام الدرويش قائلا من أين تأتى؟ وبم أنت مشغول؟ ورد الدرويش هكذا على سؤال شاه بهرام هذا.

قال الضيف إننى أفسر الكلمات وأسير، وأجول داخل البلاد وقد رأيت ما يحدث داخل هذا العالم وشاهدت سور الخطاى وكان من بينهم تاجر وعلى وجه العموم، كان غائباً حاضراً وكان عدد أمواله وفيراً وكان كل من يريد، يأخذ بوفرة ولكن جاءه مَلك يوماً، ملك جميل اسمه دلارام إننى لم أتصور جمالها أبداً وسجلته فى كتاب النواة ولكن جمالها فقط ندى يصلنى منه صدى فى كل لحظة.

وبعد هذا الرد يُظهر الدرويش لشاه بهرام صورة البنت الجميلة

للمسماة دلارام التى مر ذكر اسمها فى الشعر. ولم يكد شاه بهرام يرى صورة دلارام حتى فتن بجمالها وسألها هذا السؤال.

- ما علاج هذا الأمر أيتها الأميرة؟
- وما هو ثمن وصالك؟

ورد الدرويش بهذا الرد على ذلك السؤال:

- قال إن الرأى الذى أقتنع به
- هو أن يأتى ذلك القمر إلى هذا العبد
- وليحدد ملك الخطاى مهرها
- والآن، وقد تم مرادك
- فهى رسالة أُتمت لمن يقرأها
- وهى تؤتى أكلها كل حين

وبناءً على ذلك يتوجه شاه بهرام إلى حاكم المانجو من أجل أن يزوجه دلارام، ويرسل السفراء إلى بكين وبعد أن يقرأ حاكم المانجو الذى استقبل السفراء فى حضرته، خطاب شاه بهرام.

- رأيت بعينيك أن الشتاء قد حل
- والخيال، لا يفيد، والقضاء ينفذ سريعاً
- فتعال، وصلنا، واعرف نفسك
- وشاهد وجه دلارام الوردى.

وفى النهاية يأخذ سفراء شاه بهرام الذاهبون إلى بكين، ودلارام معهم ويعودون إلى كاشغر، ويُفسد شاه بهرام الذى افتتن بجمال دلارام وانشغل بها بصورة دائمة - أمور الدولة، وفتح هذا الوضع، الطريق لثورة الأهالى.

ويخرج شاه بهرام فى أحد الأيام للصيد، ويحضر معه دلارام ، وكان الحاكم قد اكتسب شهرة بكونه مصوباً ممتازاً، فضرب غزالة تجرى، بسهم من أجل أن يبين لدلارام مهارته هذه فى التصويب. وتخاطب دلارام التى شاهدت هذا، شاه بهرام هكذا كأن شيئاً لم يكن.

- قالوا إن من يقوم بهذه الأفعال

- يصبح ساعياً، ويصبح عيناً (ذات بصيرة).

ومن الطبيعى أن شاه بهرام لم تعجبه هذه الكلمات، وأراد الملك الذى لم يستطيع أن يتحكم فى أعصابه أن يدق عنق دلارام ، ولكن من فى معيته ذكروه أن السلاح لن يكون من الممكن استخدامه ضد امرأة. وبناءً على ذلك فقد أمر من فى معيته أن يبعدوها عن عينيه. ولكن الملك الذى بحث عن دلارام بمجرد أن فتح عينيه فى اليوم التالى أحس بالندم بسبب ما فعله. وأمر بالبحث عنها فى كل مكان بالدولة. ولكن ليس من الممكن العثور على دلارام. ويمرض شاه بهرام ولم يستطع الأطباء أن يجدوا أى دواء لمرض الملك هذا.

وفى النهاية يأتى عازف رباب يسأل يوماً من الأيام ويبلغ الملك أنه صادف بنتاً غاية فى الجمال فى ديار هزارم وحكى له أن هذه البنت

كانت موجودة فى قصر شاه بهرام، وبناءً على ذلك أرسل الملك فى الحال رجاله من أجل أن يأخذ هذه البنت. وكانت البنت الموجودة هى نفسها دلارام وفى النهاية يلتقى شاه بهرام ودلارام مع بعضهما بعد فراق طويل. وهكذا يكون مغزى قصة شاه بهرام التى كتبها طوردى غريبى باختصار.

لقد كان طوردى غريبى شاعراً تركياً أويغورياً له قدرة إبداعية عالية وهو ليس فقط مؤلفاً للمؤلفات التى كُتبت بأسلوب داوم عليه من قبله فيما يتعلق بدلارام وشاه بهرام. وهو فى نفس الوقت مبدع للغزليات التى يمكن أن ترد بمعنى الكلمة على الأسلوب التقليدى من كل وجه ومن كل أشكالها، وعلى سبيل المثال فإن مؤلفه كتاب غريبى لا يشبه قط أىّ مؤلف فى الأدب التركى الأويغورى المكتوب.

• موللا شاكر:

لا يسعنا إلا أن نتوقف عند موللا شاكر عندما ندرس كلاسيكيات الأدب التركى الأويغورى ، والمؤلَّف المعروف فى الدوائر الأدبية للموللا شاكر هو القصة المسماة بـ«ظفر نامة»، وليست بين أيدينا معلومات كافية عن حياته وجهده نظرا لأنه ليست بين أيدينا مادة أخرى. وهناك معلومات مختصرة عن مكان وزمان ولادة الشاعر فى نهاية قصته المسماة «ظفرنامه».

واستناداً إلى هذه الأسطر يمكننا أن نستنتج أن موللا شاكر ولد فى عام ١٨٠٥، وأنه أتم مؤلفه المسمى « ظفرنامه» فى عام ١٨٦٦، وأنه كان يبلغ من العمر ستين عاماً عندما أتم هذه القصة. واستطاع

مولانا شاكر أن يتم قصته المسماة «ظفر نامه» فى خلال خمسة أشهر. وقد وهب أربعين سنة من حياته تقريباً لمجهوداته الأدبية، وبناءً على هذا فإنه لا بد أن يكون مولانا شاكر قد كتب عدة مؤلفات أخرى، ولكن حتى اليوم لم يُتمكن من إظهار مؤلفاته هذه، وينبغى أن نضيف هذه النقطة أيضاً إلى المعلومات القصيرة عن مولانا شاكر التى ذكرناها آنفا، لقد اشترك بالفعل فى الثورات التى قامت فى تلك العهود فى تركستان الشرقية ممسكاً بسلاحه فى يده ويحيى مؤلفه المسمى «ظفر نامه» ذكرى هذه الثورات. وميزة أخرى لمولانا شاكر وهى معرفته الجيدة بتقاليد الأدب الشرقى. ونحن عندما نقرأ مؤلفه المسمى «ظفرنامه» نستطيع أن نتأكد أن الشاعر حلل جيداً المؤلَّف المشهور المسمى «ديوان لغات الترك» لمحمود الكاشغرى. وإذا كنا قد ذكرنا على سبيل المثال أن الكاشغرى قد ارتحل اثنا عشر عاما حتى يكتب مؤلفه فإن مولانا شاكر يمدنا بنفس المعلومات فى مؤلفه وهناك احتمال كبير أن يكونُ مولانا شاكر عالماً بالشعر الفارسى الكلاسيكى لأن هذا المؤلَّف قد كُتب بوزن العروض. وكان مولانا شاكر فى مؤلفه نفسه يشكو من الاهتمام الشديد بالأدب الفارسى فى ذلك العصر. وكل هذا يدل على أن مولانا شاكر كان شخصاً ذا علم غزير فى عهده. وفى نفس الوقت كان مواطناً حقيقياً محباً لوطنه. وكان شاعراً مرتبطاً جداً بشعبه ومؤمنا بنصرة شعبه، ولهذا فإن مولانا شاكر قد سمى قصته «ظفر نامه» أى «قصة النصر».

نستطيع أن نفهم من موضوع القصة أن مولانا شاكر كان قد اشتهر

شهرة عظيمة فى عصره مثل موسى صايرامى للمؤرخ التركى الأويغورى وأنه قد تعرف على الشخصيات المشهورة فى عمله، ومع الأسف فإن الشاعر لم يبين أين كتب مؤلفه المسمى «ظفر نامه» ومن الصعب أن نخمن حتى متى ولد ومتى توفى؟، ولكن نظراً لأنه كتب مؤلفه المسمى «ظفر نامه» فى فترة قصيرة مثل خمسة شهور وأنه كان يبلغ من العمر واحداً وستين عاماً عندما أتم هذا المؤلف فنستطيع أن نذكر أنه كان لا يزال مستمتعاً بحيويته فى هذه السن.

ويصّور موللا شاكر فى مؤلفه المسمى «ظفر نامه» الثورات القومية لشعب تركستان الشرقية، والحروب التى تمت ضد القوات الغازية بلغة حية جداً. ويفهم من هذا أنه اشترك بنفسه فى هذه الثورات وانضم إلى هذه الحروب. وتكمن قيمة المؤلف المذكور فى اشتراك مؤلفه الفعلى فى الثورات القومية، وفى قدرته الإبداعية المتفوقة، ونحن عندما ننتبه لمقدمة وموضوع الكتاب فقد استهدف الكاتب أن ينتهى هذا الصراع بالانتصار، وصور الصراع المسلح بلغة شاعرية. ولقد صورت الحياة بطريقة واقعية جدا في قصة موللا شاكر مثل المؤلفات الرائعة المكتوبة فى القرن التاسع عشر. ولقد كان الأتراك الأويغور فى هذا العصر يقومون بحروب ضد الغزاة المانجو صينيين. ويرد ذكر الثورة القومية التي سببت الانفجار فى مدينة كوجار فى سنة ١٨٦٤، من بين هذه الثورات القومية فى قصة موللا شاكر المسماة «ظفر نامه» وطبقاً لما هو مذكور فى قصة ظفر نامه، فإن أتراك الأويغور قد قاموا بالثورة فى عام ١٨٦٤ تحت قيادة

رشيد الدين خوجه، وهاجموا قلعة مانجو صينية فى مدينة كوجار وقضوا على الجنود المانجو صينيين فى كوجار عن آخرهم، وأعلن رشيد الدين خوجه نفسه سلطانا وبعد ذلك قام الجنود الأتراك الأويغور الذين كانوا تحت قيادة رشيد الدين خوجه بتطهير كاشغر ومدن تركستان الشرقية الأخرى من المانجو صينيين.

- **بلال ناظم:**

إن بلال ناظم هو شاعر تركى أويغورى آخر اكتسب شهرة فى القرن التاسع عشر. ولد بلال ناظم فى مدينة غولجا بتركستان الشرقية فى سنة ١٨٢٥، وقد أنفق أبوه كل ماله واجتهد فى تعليم بلال ناظم. وقد رأى استعداد ابنه فى الموسيقى والشعر وأعده للتعليم المدرسى. وقد قرأ بلال ناظم منذ كان صغيراً فى السن، المؤلفات الكلاسيكية المشهورة لشاكر، وتعلم حينذاك اللغة الفارسية. وخلاف ذلك فقد كتب بلال ناظم الشعر ولحنه. وذهب بلال ناظم إلى مدرسة فى غولجا عندما بلغ من العمر اثنين وعشرين سنة. وبعد أن أتم تعليمه المدرسى صار إماماً على أحد الجوامع الكائنة فى غولجا وخلال ذلك فقد أعطى الشرارة لإحدى الثورات القومية فى غولجا. ونتيجة لهذه الثورة فقد تكونت سلطنة فى «إيلى» فى عام ١٨٦٤. وكنتيجة لتاثير هذه الثورة فى المدن الأخرى لتركستان الشرقية فقد ظهرت إمارة أيضاً فى كاشغر فى سنة ١٨٦٧. وقد أخذ بلال ناظم أيضاً سلاحه فى يده، واشترك مع أخيه الأكبر جلال الدين فى الثورة القومية، وحارب ضد الغزاة المانجو – صينيين، وبعد الثورة القومية عاد

بلال ناظم مرة أخرى إلى واجبه فى الجامع. وعمل فى نقل المخطوطات القيمة، وكتابة شكاوى المواطنين وانشغل بلال ناظم فى نفس الوقت بالسياحة، وجمع العناصر الفولكلورية من الأماكن التى ذهب إليها.

وخلال فترة انشغال فيها بلال ناظم بهذه الأعمال، وبعد انسحاب جنود روسيا القيصرية الذين احتلوا ولاية إيلى بتركستان الشرقية لفترة مؤقتة فقد شاهد أنواع الظلم – التى قام بها الغزاة المانجو صينيين الذين احتلوا ذلك المكان مرة ثانية – التى وقعت على الأهالى المحليين. وقد هاجر الآلاف من التركستانيين الشرقيين الذين خافوا من عودة وانتقام المانجو صينيين عندما كانت القوات الروسية تنسحب - هاجروا إلى داخل الأراضى الاتحاد السوفيتى السابق، وخلال تلك الفترة أخذت صحة بلال ناظم فى الاعتلال تدريجياً. وفى سنة ١٨٩٠ أصبح بلال ناظم لا يتمكن من الرؤية. والحاصل أنه عندما وصل الظلم المانجو صينى إلى درجة لا يمكن تحملها فقد هاجر إلى مدينة بانفيلوف الحالية فى الاتحاد السوفيتى ومات هناك فى عام ١٨٩٩.

لقد كتب بلال ناظم تقريبا كل أشعاره عندما كان يدرس فى المدينة وفى النهاية جمع كل أشعاره هذه فى ديوان، وأسماه «غزليات»، وتعنى الغزليات مجموعة من شعر الغزل. وكما هو مدون فقد نسخت مؤلفاته عدة مرات لأنه لم تكن توجد مطابع خلال تلك العهود. وهكذا أمكن تداوله بين الشعب ولم يكن بلال ناظم شاعراً غنائياً متمكناً فقط حيث إنه فى ذات الوقت كان مبدعاً لعدة مؤلفات قصصية. وأشهرها القصص

المسماة «حانموزا يوسف خان» و»نوزوغوم»(nuzugum). ويروى بلال ناظم فى مؤلفه المسمى "نوزوغوم» والمكتوب فى طراز قصصى الحياة الكئيبة لبنت تركية أويغورية، وكذلك يروى البطولات التى قامت بها من أجل حريتها. واسم هذه البنت البطلة نوزوغوم، وتحتل مكانا فى هذه القصة الأبيات التى قالتها نوزوغوم مصورة فيها وضعها الكئيب. وقبل تحليل مفهوم هذا المؤلَّف لبلال ناظم، وإتجاهاته الفكرية، لابد وأن نذكر ان «نوزوغوم» قد فتحت عصراً جديداً فى الأدب الكلاسيكى الأويغورى التركى. فى الحقيقة، لقد جمع ممثلوا الأدب التركى الأويغورى الأغانى الشعبية حتى عهد بلال ناظم وأضافوا فكرهم الأدبى إليها. وليس من الممكن أن نرى مثالاً آخر يعطى قيمة لجهد البطلة التى خلقها فى نهاية المؤلَّف.

وكما هو معروف، فقد حدثت ثورة ضد الغزاة المانجو صينيين فى كاشغر فى عام ١٨٢٥. وقضى الغزاة على هذه الثورة القومية بشكل دموى فى فترة قصيرة. وقتل معظم الذين اشتركوا فى الثورة. أما النساء فكُنّ يُبعن فى الأسواق لقبائل القالموق، وكانت من بين هذه النساء بنت تدعى نوزوغوم، وليست هناك معلومات كافية عن مكان ميلاد نوزوغوم وعن عائلتها. ولكن من المعروف أنها كانت شخصية حقيقية وكانت جميلة جداً وشجاعة، بل وكانت شاعرة.ومن أشعار نوزوغوم يُفهم أنها كانت من كاشغر وكانت لها أسرتها المكونة من أمها وأبيها وأخيها الأكبر وجدتها..ويُفهم أنها كانت متزوجة وكان لها ثلاثة أطفال، ويرجح أن زوجها وابنها الأكبر قد قتلا على أيدى المانجو صينيين، وإذا كانت

نوزوغوم قد هربت عدة مرات بعد وقوعها فى يد العدو إلا أنها قد قبض عليها فى النهاية وتم توقيع العقوبة عليها.

وتكمن أهمية هذا المؤلَّف فى كون نوزوغوم سيدة تركية أويغورية وطنية جداً أو مرتبطة بوطنها وأمتها. ولقد أضاف بلال ناظم – الذى كان شاعراً شعبيا حقيقياً – إلى الإرادة الصلبة نوزوغوم ووطنيتها وحبها أيضاً. ولم يكتف بلال ناظم فقط بجمع القصص عن نوزوغوم وأغانيها الشعبية. ووضح رأيه فيها وأعلن ذلك فى جمعية خيرية ذلك، لأن أفكار بلال ناظم المتعلقة بحبه لوطنه وأمته، والعمل على استقلال وطنه، كانت متطابقة مع أفكار نوزوغوم.

ويركز هذا المؤلَّف لبلال ناظم على وقفة هامة من تاريخ الأتراك الأويغور، فيبين هذا المؤلَّف إلى أى مدى كانت البطلة الشعبية نوزوغوم مهتمة بمستقبل وطنها، وتكمن القيمة الحقيقية لهذا المؤلَّف فى الأصل فى هذه النقطة.

وهناك مؤلف مشهور آخر لبلال ناظم، وهذا المؤلَّف المسمى «كتاب غزات درمُلك جين»، وقد كتب هذا المؤلَّف بروح تقليدية، ويعتقد أن المؤلَّف قد كُتب بين عامى ١٢٩٢ – ١٢٩٣ هجرية، وهذا المؤلَّف هو أحد أقل المؤلفات نقدا لبلال ناظم. وتحتل حروب الأويغور مع المانجو صينيين – كما هو معروف مكانها فى تاريخ الأويغور فى القرنين الأخيرين. ومن أجل هذا فقد خصصت هكذا لهذه الموضوعات

بعض المؤلفات فى الأدب التركى الأويغورى أيضاً. وأحدها هو الكتاب المسمى كتاب «غزاة درملك جين» لبلال ناظم. ويروى بلال ناظم فى مؤلفه هذا معلومات عن ثورة قومية كبيرة امتدت إلى عدة ولايات من تركستان الشرقية فى الفترة من ١٨٦٤-١٨٦٧. وطبقا للمعلومات التى أمدنا بها فقد اشترك فى هذه الثورة مسلمون صينيون كانوا يتخذون اسم تونكان (هوى)، وذلك بالإضافة إلى الأهالى الأتراك الأويغوريين بتركستان الشرقية. وقد قاد هذه الثورة البطل التركى الأويغورى المسمى مَزَم زات. أما قائده فكان البطل المسمي عبد الرسول بك. وقد هدم البطل صادر بلوان – الذى كان موجوداً فى السجن خلال هذه الثورة – أسوار باياندای التى كانت ثكنة خلال للجنود المانجو صينيين، وأمّن دخول الجنود الأتراك الأويغور إليها.

ولكن لم يستطع الأتراك الأويغور أن يتحملوا المزيد نتيجة لحصول المانجو صينيين بإستمرار على المساعدات وفى النهاية تمت هزيمتهم مرة أخرى.

وكما أوضحنا من قبل فإنه ليست هناك معلومات كافية عن حياة بلال ناظم وقد استمدت معظم المعلومات عنه من خلال أعماله، وعلى وجه الخصوص، يمكن الحصول على معلومات وفيرة عن بلال ناظم من كتابه المسمى «كتاب غزات درملك جنى». ويتضح فى كتابه هذا أن بلال ناظم قد أخذ سلاحه فى يده، وحارب ضد الغزاة جنبا إلى جنب مع أخيه الأكبر جلال الدين وقد كتب بلال ناظم خمسة وأهداها لأخيه الأكبر جلال الدين.

«منذ أن كان عمرى اربعة أو تسعة أعوام حتى صرت هرماً فى سن المائة

ومنذ أن كانت قامتى منتصبة كالألف خضت غمار الحروب مع أخى»

ويذكر بلال ناظم فى هذه السطور أنه كان بدأ يكتب هذا المؤلف عندما كان فى سن السادسة والثلاثين وبدأ يشترك فى الثورات القومية، وأنه كان قد وصل إلى سن المائة كالهرم. وأن ظهره الذى كان منتصباً كحرف الألف قد انثنى.

لقد كان بلال ناظم أديباً تركياً أويغورياً كلاسيكيا مبدعاً وبالإضافة إلى كتابة الغزل والمخمس (الخمسات) فقد عمل بالموسيقى. ومن أجل هذا يمكننا أيضاً مقارنة بلال ناظم بعلى شيرنوائى. ومن الطبيعى أن تمكن بلال ناظم فى الشاعرية كان أعلى من تمكنه فى الموسيقى. ومن الطبيعى أن الشاعر لم يتمكن من كتابة مؤلفات فى الموسيقى حيث إنه لم يُعتاد كتابة النوتة الموسيقية فى تلك العهود.

وتوجد فائدة هنا فى تسجيل هذه النقطة، وذلك أن بعض مؤلفات بلال ناظم لا زالت تعيش بين الشعب حتى اليوم كأغانى شعبية، ويعرف الأويغور تقريباً كل أغانيه مثل «لم تضحك»، «حبيبى»، «على جبينك»، «الليالى»، «ما استطعت أن أحد»، كانت «هلر بجانبك»، إذا مت ينمحى إسمى».

وبلال ناظم فى نفس الوقت إنسان مثقف جداً، وكان واقفاً على

الأدب الشرقى بكل معناه، ومن وقت إلى آخر تصادف فى غزلياته أسماء تحتل مكانها فى الأدب الشرقى مثل ليلى والمجنون وفرهاد وشيرين، ورستم، ووامق وعزرا.

ويُظهر بلال ناظم نفسه كتلميذ لأكبر شعراء الشرق الغابرين وأدبائه. فكان بلال ناظم متيماً بعبد الرحمن الجامى وعلى شيرنوائى. وهذه النقطة هنا مثيرة جداً، فقد رآه بلال ناظم فى رؤياه وارتبط به بحب كبير. ويقول بلال ناظم فى أحد أشعار الأمثال:

«ذات مرة فى رؤياى كنت أقف على شاطئ البحر
وانشقت الأرض، وظللت فى ذلك المكان المذموم
واختلطت الأرض بالماء، ولما كان الهلاك فى البحر
امتلأت بالدهشة والخوف.
وفجأة ظهر حضرة مولانا الجامى
ولما عرف العبد حبيبه
التصق به
وتحررت منذ ذلك الوقت
وعثرت على المقدس لمولانا الجامى
والتصقت بالشعر وأصبحت شاعراً .

● شمس الدين:

إن شمس الدين هو شخصية أخرى تحتل مكانة هامة فى الأدب

التركى الكلاسيكى الأويغورى. وشمس الدين هو مؤلف العمل المسمى «غريب وشاه سَنَمْ "senem sah ve Garib"، ونسخة من هذا المخطوط مخبأة فى عاصمة جمهورية كازاخستان. وطبقاً للمعلومات التى بين أيدينا فإن الصفحتين الأولى والثانية لهذا المؤلَّف ناقصتان. وفى الأغلب الأعم فإن المعلومات المتعلقة بالشاعر كانت فى هاتين الصفحتين المفقودتين، وليس من الممكن الحصول على معلومات عن اسم مؤلف العمل المسمى «غريب وشاه سنم» بالكامل، وكذلك عن وقت كتابة المؤلَّف. ولكن طبقاً لما يُفهم من نص المؤلَّف، فإنه من المحتمل أنه كُتب فى سنة ١٨٨٨ فى مدينة أوج طورفان بتركستان الشرقية.

ويؤيد هذا، السطور المذكور فيها: ومع هذا الجبل جبالٍ مزدوجة، تربط الطرق الغريبة. وطبقاً لما نفهم من هذه السطور فإن المؤلَّف المسمى «غريب وشاه سنم» قد كُتب بعد مدة من طرد قسم من أتراك الأويغور من جنوب تركستان الشرقية إلى وادى «إيلى» على يد المانجو صينيين. وخلاف ذلك، فإذا رجعنا إلى مغامرات العشق بشأن «غريب وشاه سنم» فى الآداب المكتوبة فى اللهجات التركية، نرى أنها قد كُتبت بين عامى ١٥٨٧، ١٦٢٨ اللذين كان يحكم إيران خلالهما الشاه عباس الأول. وتؤيد بعض المصادر أن العشق المغبون داخل «غريب وشاه سنم» قد تمت روايته، وقد قام شمس الدين بتحويل هذه الروايات التى انتشرت بدرجة كبيرة فى آسيا الوسطى وتركستان الشرقية إلى صيغة أدبية من الكلاسيكيات التركية الأويغورية فى القرن التاسع عشر. وكانت لشمس

الدين – الذى كتب الروايات التى ظهرت فى الشرق بشأن «غريب وشاه سنم» – وبشأن أسلوب كتابتها، والذى صور حياة التركى الأويغورى– كانت له معلوماته عن علي شير نوائى وعبدالرحيم نظارى وجهود أدبية لشعراء مشاهير آخرين. وكان شمس الدين أحد الشخصيات العالمة بعصره. وخلاف ذلك فإننا يمكن أن نصادف أسماء أبطال مر ذكر أساميهم فى المؤلفات التى كتبها شعراء الشرق المشاهير مثل علي شير نوائى وعبدالرحيم نظارى، وذلك فى مؤلف شمس الدين.

ومع الأسف فلا توجد معلومات كافية عن تواريخ ميلاد ووفاة شمس الدين. وليس من الواضح أيضا سواء كتب مؤلفات أخرى أم لا. وموضوع مؤلفه المسمى «غريب وشاه سنم» للشاعر كما يلى:

كان يوجد ملك ذو قلب عطوف يسمى الشاه عباس فى مدينة بكرى ابدال فى منطقة ما وراء النهر، وذات يوم من الأيام يأتى من بغداد إلى مدينة بكرى آبدال تاجر يسمى حسن، ويتعرف على الملك، ويصبح مظهراً لحبه وثقته. ونتيجة لذلك يعين الشاه عباس، حسن وزيراً له. وكان أشد ألم لدى الشاه عباس وحتى الوزير هو عدم وجود أطفال لكليهما. وحيث أن اتفق الشاه عباس مع حسن الوزير على أنه إذا ما رزق أحدهما بنت ورزق الأخر بإبن فإنهما سوف يزوجانهما لبعضيهما. ويمضى الزمان ويصبح للملك بنت، ولحسن الوزير إبن. وسميت البنت كلنشمن ثم «شاه سنم» فيما بعد. وإذا كان ابن حسن الوزير قد سمّى عبد الوهاب، إلا أنه ذكر بـ «غريب» فيما بعد. ولما بلغ غريب سن

الثالثة مات أبوه حسن الوزير وأصبح يتيماً وعُين بدلاً من حسن الوزير وزير يسمى عين الدين. ولما بلغ غريب الخامسة عشرة من عمره صادف سيدة تلف حبلاً وتضرب بالسهم على حجر المسن، وتطلب السيدة من غريب أن يلقى السهم على كلنشمن بدلا من الحجر، ولكن عندما يكرر غريب قذف السهم تقول له السيدة:

«يا بنى إستمع لكلامى، إن الشاه عباس ليس أباك، وإن أباك كان هو حسن الوزير، وقد مات حسن الوزير عندما كنت فى الثالثة وكان أبوك قد اتفق مع الشاه عباس قبل أن تولد ووعده بأن يزوجك من كلنشمن، فيا ترى هل سيزوجك الشاه عباس الآن من كلنشمن.

وبدأ غريب – الذى اندهش لهذه الكلمات – ينظر إلى كلنشمن هذه المرة بعين مختلفة ومع الوقت ارتبط غريب بشاه سنم بعاطفة قوية، ونسى الشاه عباس – الذى فهم هذا – الكلمة التى كان قد أعطاها لحسن الوزير فيما قبل، ووضع ابنته تحت سيطرة محكمة وتتبع حركات غريب. ولكن الشاه عباس الذى رأى أن غريب لم يستطع أن يترك شاه سنم – أمر بنفيه خارج حدود الوطن.

وهكذا عاش غريب – الذى طرد إلى مدينة شيروان – أياماً عصيبة، أما شاه سنم التى افترقت عن غريب، فقد تعذبت كثيراً ومرضت نتيجة لهذا، ولم يجد نفعاً العلاج الذى أعطاه لها الأطباء.

وعمل الشاه عباس – الذى رأى ابنته تعانى من العذاب – على

إحضار غريب الذى كانت مدة نفيه قد انتهت، وساعده على العودة إلى الوطن. ولكن جاءت المساعدة متأخرة جداً، لأن عيون غريب الذى كان يمضي يومه بالبكاء قد فقدت الإبصار، ولهذا السبب فقد سقط فى بئر ومات مختنقاً، وجاءت شاه سنم التى علمت بهذا الخبر إلى المنطقة التى مات بها غريب، وانتحرت بإلقاء نفسها فى البئر.

وبالرغم من أن المؤلَّف المسمى «غريب وشاه سنم» قريب من المؤلفات الفولكلورية بإعتبار المفهوم والمحاكاة، إلا أنه مؤلَّف أدبى مكتوب، لأن المؤلَّف كُتب بطريقة واقعية جداً، وليست به المبالغة التى تخص المؤلفات التى هي على نمط أساطير الفولكلور. وإذا كان هذا المؤلَّف لشمس الدين لم يُنقد بتعمق، إلا أنه يقبل على أنه مؤلَّف عظيم جداً فى إطار الأدب التركى الأويغورى المكتوب فى القرن التاسع عشر.

ممثلوا الأدب الذين ظهروا تحت التأثير الغربى

أنجب أتراك الأويغور فى القرن العشرين مؤرخين وأدباء وشعراء وروائيين مثل مسعود صبرى بايقوزى ومحمد أمين بوغرا ولطف الله مُطلب وبولات قادرى طورقانى وعبد الرحيم اوتكور وعناية الله وستار مقبول حوبان وخوير تومور وقوربان قوادى وضياء صمدى (يعيش الآن فى جمهوريات آسيا الوسطى) ونيم شهيد وإبراهيم قوربان وتورغون آلماس وأحمد ضيائى.

ولمسعود صبرى بايقوزى (كان قد أصبح واليا عاما على تركستان الشرقية فى ١٩٤٧/٥/١٩)، مسرحية تسمى «البنت المسكينة». وتروى هذه المسرحية التى ظهرت فى تركستان الشرقية فى عام ١٩٤٨ ، تروى قصة حياة مؤلمة لفتاة أويغورية تغربت عن وطنها. كما أن هناك مجموعة قصصية نشرت باسم «درمة حاتمة»

ولم يكن المرحوم محمد أمين بوغرا مجرد رجل دولة افتقدته أراضى تركستان الشرقية، بل كان فى نفس الوقت مؤرخاً وأديباً وشاعراً، وله مؤلَّف ذو قيمة كبيرة، ومكتوب بالحروف العربية ومطبوع فى مطبعة حجرية ويسمى «تاريخ تركستان الشرقية». وخلاف ذلك، فإنه بعد أن وصل إلى الهند ومن بعدها تركيا، وذلك فى الأعوام التى تلت سنة ١٩٤٩، أصبحت له كتبه ورسائله المعروفة التى كتبها.

ولأحمد ضيائى الذى أصبح روائياً ثلاثة مؤلفات تسمى «زهور لا تذبل» و «رابية وسعدين» و «فى طريق لاداق» وقد طبعوا فى مطبعة isvec فى كاشغر.

وضياء صمدى هو كاتب روائى، وله مؤلفات مثل «مايم خان» والسبتيني وسرها» وقد تُرجمت بعض مؤلفاته إلى اللغة الروسية.

ولبولات قادرى طورفانى مؤلَّف يسمى «تاريخ تركستان الشرقية» الذى كان قد كتبه عندما كان فى الوطن. ويروى هذا الكتاب – المكتوب بالحروف العربية – وقائع تركستان الشرقية بعد عام ١٩١١. وخلاف

ذلك فإن له كتاب صغير يسمى «تاريخ تركستان الشرقية» والذى كان قد نشره بإسم «آماج قره خوجه» بعد ان لجأ إلى الهند.

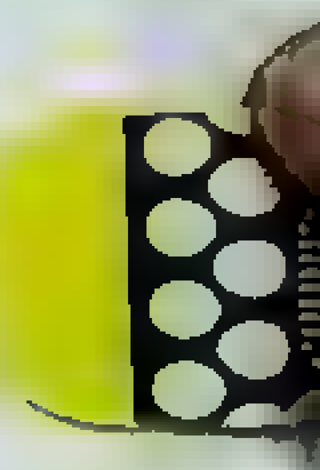
وللشاعر عبد الرحيم أوتكور مجموعة أشعار تسمى «قبائل تاريم» وقد نشر هذا الكتاب بالحروف العربية فى نانجين فى ١٩٤٧.

وستار مقبول جوبان من الشعراء الترك الأويغور المميزين. وقد ترجم إلى اللهجة الأويغورية مؤلفاً لعبد الكلام لآزاد رئيس جمهورية الهند عندما كان فى تركستان الشرقية. ومن أجل هذا فقد كافأه مسعود صبرى بايقوزى الوالى العام للتركستان الشرقية فى عام ١٩٤٨ بإعطائه الميدالية الذهبية. وخلاف ذلك فإنه كانت له أشعار غنائية وحماسية، إلا أنها لم تنشر.

ولا شك أن لطف الله مطلب هو أحد اشهر الشعراء الذين ظهروا فى تركستان الشرقية. وقد أعدم الصينيون الشاعر القومى لطف الله مطلب فى مدينة كوجار بتركستان الشرقية فى سنة ١٩٤٤. وقد نشر الأشعار التى كتبها أتراك الأويغور الذين يعيشون فى الاتحاد السوفيتى السابق فى وقت متأخر. وقد تُرجمت هذه المجموعة من الأشعار إلى الروسية واللهجات الأخرى للغة التركية الحديثة.

القسم الثالث

الجغرافيا البشرية للتركستان الشرقية



لقد وضحت بعناية صورة رأس الذئب بالأساطير التركية، وراية الحرية وحمامات السلام فى الفن الأويغورى. وخلاف ذلك فإن هذا الإيضاح يبدو أنه يحمل معنى سامياً إلى درجة بعيدة من الناحية الفنية.

مساحة تركستان الشرقية

إن مساحة تركستان الشرقية – التى أوضحنا بإختصار مكانها فى آسيا الوسطى، والتى كانت مساحة لعدة أحداث تاريخية – هى مليون وثمانمائة وثمانية وعشرون ألف وأربعمائة وثمانية عشر كيلو مترا مربعاً(١,٨٢٨,٤١٨). وهى أكبر من تركيا مرتين ونصف، وأكبر من ألمانيا أربعة مرات، وأكبر من الأردن خمسة وعشرين مرة، وأكبر من باكستان خمس مرات، وأكبر من اندونيسيا مرتين، وهى تشكل خمس أراضى الصين كلها، داخل فى ذلك المستعمرات الصينية الحمراء مثل التبت ومنغوليا الوسطى ومانجوريا.

ومساحة تركستان الشرقية التى تقرب من مليونى كيلو متر مربع، منها ٦٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع صحراء، ٩١٠٠٠ كيلو متر مربع أخرى عبارة عن غابات.

- **التضاريس:**

تتميز تضاريس تركستان الشرقية بالأشكال الطبيعية المتضادة. ويجذب الانتباه الصحراوات والواحات والهضاب العالية بأوضح أشكالها. وتحير الإنسان الأراضى القاحلة الواسعة من ناحية، ومن ناحية أخرى

الأراضى المشجرة المثمرة. وهى مغطاة بسلاسل جبلية عالية وغابات وأماكن جليدية وصخور. وتنحدر هذه الجبال من الشرق إلى الغرب، وتستمر من شمال وجنوب تركستان الشرقية فى اتجاه الغرب.

وتقسم جبال طانرى – التى تمتد من هضبة البامير فى الغرب إلى الصين، وتقسم تركستان الشرقية إلى منطقة تاريم ومنطقة جونغاريا. ويبلغ ارتفاع جبال طانرى نحو ٤٠٠٠ متر، ويبلغ ارتفاع هضبة خان طانرى هى أعلى هضبة فى هذه الجبال، يبلغ ٧٤٣٩ متراً، وتساعد المراعى الواسعة فى سفوح هذه الجبال على تربية الحيوانات بعدد كبير.

● منطقة تاريم:

وهى تقع بين جبال طانرى وجبال كنلون (جبال الظلمة)، ومساحتها ٩,١٠٠٠٠ كيلو متر مربع، ومنطقة تاريم على شكل القطع الناقص وتقع فى جنوبها جبال الظلمة، كما تقع فى الجنوب الغربى منها منطقة قره قوروم، وهنا توجد صحراء تكلامكان الشهيرة. وتغطى هذه الصحراء ٥٠٠٠٠٠ كيلو متراً من مساحة منطقة تاريم التى تبلغ ٩,١٠٠٠٠ كيلو متراً، أما المساحة التى تبلغ ٤٠٠٠٠٠ كيلو متراً المتبقية فهى مناسبة للزراعة، ويبلغ طول المنطقة من الشرق إلى الغرب ١٠٠٠ كيلو متراً تقريباً، أما ارتفاع المنطقة فيبلغ ١٣٠٠ كيلو متراً فى أجوار كاشغر. وتنخفض مدينة طورفان الموجودة فى هذه المنطقة حتى ٢٨٠ متراً عن مستوى البحر.

ومنطقة تاريم أكثر جدباً من صحراء جوبى، والمطر قليل جداً فى الربيع، ويتم رى الجزء المناسب للزراعة الذى تحدثنا عنه آنفاً، من خلال نهر تاريم. وينساب نهر تاريم الذى ينبع من عدة فروع، باستقامة نحو الشرق، ويصب فى بحيرة قره بوران (لوب). ويزرع فى منطقة تاريم، القمح والقطن والذرة والأرز، ويتم رى الأراضى من نهر تاريم. وعلى وجه الخصوص توجد وفرة فى المشمش والعنب وذلك فيما يخص الفاكهة.

- **منطقة جونغاريا:**

إن منطقة جونغاريا هى المنطقة الواقعة بين جبال طانرى وجبال الآلتاى. وهى تبرز المنطقة الشمالية من تركستان الشرقية، وهذه المنطقة بها نتوات قليلة، والجزء الأوسط من المنطقة صحراوى. وخلاف القسم الأوسط الصحراوى فهى عبارة عن منطقة رعوية على وجه العموم. فلهذا فإنها معبر ومقام البدو المرتحلين من وقت إلى آخر. وتوجد فى القسم الجنوبى منها منطقة إرواء شاسعة.

ويمر من هذه المنطقة أحد طرق تركستان التى تربط بلدان الشرق الأقصى بالغرب. ويوجد بالقطر خط سكة حديد واحد فى منطقة جونغاريا التى توجد بها مدينة أورومجى حاضرة تركستان الشرقية.

- **الأنهار والبحيرات:**

إن أهم نهر بتركستان الشرقية هو نهر تاريم، وهو ينبع من المضاب

العلوية الواقعة شرق جبال قره قوروم. ويشكل نهر تاريم حداً على مسافة قصيرة بين تركستان الشرقية وبين كشمير، وهو يجرى نحو الشرق ويصب فى بحيرة لوب. ويشكل نهر تاريم الذى يبلغ طوله ١٦٠٠ كيلو متراً من اتحاد ستة أفرع. وأهمها فروع الأنهار مثل فرع كاشغر الذى يأتى من الغرب، وفرع ياركند الذى يأتى من الجنوب الغربى وفرع خوتن الذى يأتى من الجنوب، والفرع الذى يأتى من الشمال الغربى. وفى نفس الوقت توجد واحات ومدن تحمل نفس الاسم على هذه الفروع.

ويوجد نهر أولونجير فى أقصى الشرق من القطر بعد نهر تاريم. أما نهرا قره إرتش وأولونجير فهى الأنهار الرئيسية لمنطقة جونغاريا.

توجد ثلاث بحيرات بتركستان الشرقية تستحق الذكر، وهى بحيرة باغراج فى جنوب جبال طانرى، وبحيرة لوب فى الجنوب الشرقى منها، وخلاف ذلك بحيرة «آيبى» وهى أكبر بحيرة بمنطقة جونغاريا.

وتغذى الأنهار والبحيرات والمناطق الثلجية بالأمطار التى تمطر فى الربيع.

● **المناخ:**

يسود المناخ القاريّ (شديد الحرارة صيفا وشديد البرودة شتاء) على وجه العموم فى كل أرجاء تركستان، ويمضى النهار حاراً، والليالى رطبة، ويكون الصيف حاراً جداً، وكذلك يكون الشتاء بارداً جداً، وتتجمد

الأنهار فى الشتاء، وتغطى المساحات الرملية بالثلوج.

وباستثناء بلدة طورفان، فإن درجة الحرارة فى تركستان الشرقية تقريباً ثلاثون درجة. وستة عشر درجة تقريباً فى الشتاء ويكون الجو بارداً فى الشمال أكثر منه فى الجنوب.

ونظراً لأن المناخ جاف، فإن الأمطار قليلة، والأمطار التى تنزل على المتر المربع تبلغ من ١٥٠ إلى ٣٠٠ مليلتر فى الشمال، أما فى الجنوب فتبلغ ١٠٠ مليلتر تقريباً.

تعداد أتراك الأويغور

يأتى تعداد أتراك الأويغور على رأس الموضوعات التى لا زالت مبهمة، وترد فى هذا الموضوع أرقام لا تؤيد بعضها. فكل الأرقام المسجلة فى العصور المانجو صينية، والصينية القومية، والصين الشيوعية هى أرقام تقريبية وبالتأكيد فإن لهذا أسبابه، إن محاولة الحكومة الصينية إظهار قلة تعداد السكان حتى لا تعطيهم أدنى حقوقهم التى تأخذها أقل الشعوب التى فى قبضتهم، تشكل أحد الأسباب الرئيسية، وكذلك فإن تركستان الشرقية تعتبر مستعمرة صينية لما يزيد عن قرنين. وقام أتراك الأويغور بالثورة بدرجات متفاوتة ضد الحكومة الصينية خلال هذه الفترة أكثر من أربعمائة مرة. وكان الصينيون قد قضوا على هذه الثورات بشكل دموى،

وكانهم لم يكونوا يكتفون بالقضاء على المشتركين فى هذه الثورات بل كانوا يقومون بقتل أفراد العائلة وسكان المدينة التى تظهر فيها الثورة، وعلى سبيل المثال فقد قتلت قوات الاحتلال المانجو صينية – التى دخلت تركستان الصينية عام ١٧٦٠ – قتلت أكثر من مليون شخص الغالبية العظمى منهم من أتراك الأويغور. وفى عام ١٨٧٧ قتل القائد المانجو صينى زو – زونج تانج ستمائة ألف تركى أويغورى لم يكن لهم أى ذنب بعد أن قضى على ثورة فى آلتى شهر(المدن الستة)[1]، واضطر أكثر من ٥٠٠ ألف تركى أويغورى خافوا من ثأر الغزاة – أن يلجأوا إلى الدول المجاورة. وحدث نفس الوضع فى عهد الصين القومية، وفى الفترة التى كان فيها القائد شينج شى ساي حاكما عاماً فى تركستان الشرقية (١٩٣٤-١٩٤٤) تم إعدام أكثر من ٣٠٠ ألف فى حجرات الغاز. أما فى عهد الصين الشيوعية فقد قُتل ٣٦٠ ألف شخص، وصار أكثر المقتولين هم أتراك الأويغور الذين يشكلون ٨٢٪ من سكان تركستان الشرقية. ولهذا فقد اتبع الإمبرياليون الصينيون طريقة إخفاء وتحريف الأعداد الحقيقية لأتراك الأويغور من أجل إخفاء جرائمهم عن الرأى العام العالمى.

وبالرغم من كل حركات القتل هذه فإن تعداد أتراك الأويغور يرد على أنه يبلغ ٣,٨٥٠,٠٠٠ ، وذلك فى الكتاب السلومى الأورى،

(1) آلتى شهر: تعنى المدن الستة الكبرى فى جنوب تركستان الشرقية وهى: قرا شهر، كورلا، آقسو، آرتوش، كاشغر، ختن.

الجزء الثانى فى صفحة ٣٩٣، المنشور فى سنة ١٩٦١. وإذا نظرنا إلى تقرير إذاعة أوروبجى بتاريخ ١٩٦٧/٤/٢٨ فيبلغ تعداد أتراك الأويغور ٣,٦٤٠,٠٠٠ عام ١٩٥٣، أما فى عام ١٩٦٧ فيبلغ٤,٩٤٣,٠٠٠، وتدعى الصحافة السوفيتية أن تعداد سكان أتراك الأويغور يزيد على خمسة ملايين. وتذكر الجريدة السويسرية المسماة:

Zeitung Zuricher Neue فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٥/١٠/٢٨ أن تعداد السكان العام بتركستان الشرقية يُظن أنه ١٠،٠٠٠،٠٠٠ شخص، وأن أتراك الأويغور يبلغون ٥,٥٠٠,٠٠٠ ملايين نسمة.

القسم الرابع

اللغة والثقافة والفن عند الأويغور



لغة الاويغور

يتحدث أتراك الأويغور بلهجة «الخاقانية» التى تحمل الطابع التركى لمجموعة اللغات الألتائية. ويدرس اللغويون اللغات التركية – طبقاً للمعلومات المتحصلة حتى اليوم –كما يلى:

١– عصر اللغة التركية الأم:

وكانت هذه اللغة تستخدم فى الأعوام التى تقترب من عهد ميلاد السيد المسيح عليه السلام، وخصائصها الصوائت الطويلة، ووجود حرف الهاء أمام الكلمة.

٢– عصر اللغة التركية القديمة:

ويستمر بدءاً من القرن السادس الميلادى وحتى أواسط القرن التاسع، وتدخل فى هذا القسم نصوص الكوك تورك والنصوص الأويغورية المبكرة المكتوبة بالحفر.

٣– عصر اللغة التركية الوسيط:

وتشمل القرون من التاسع إلى الخامس عشر، وتدخل فى هذا

القسم مؤلفات العصر الذهبى للأدب الأويغورى. وقد ظهرت فى هذا العصر المؤلفات المسماة قوتادغو بيليك ليوسف خاص حاجب، وديوان لغات الترك لمحمود الكاشغرى.

٤- عصر اللغة التركية الحديثة:

وهو القسم الذى يبدأ من القرن السادس عشر ويستمر حتى زماننا هذا.

وطبقاً لهذه العصور فإن الأستاذ أ. فون جاباين يقسم اللغة الأويغورية إلى قسمين: الأول منهما «ذو حرف N» أما الآخر فهو «ذو حرف "Y"» فمثلاً «آنيغ» بها حرف «ن» أما الأخرى «آييغ» فيها حرف «ى» وتصادف اللهجة المقرونة بـ «ن» أكثر فى الكتابات الرونية مع بقايا اللغة المانية. وقد أصبح هؤلاء الأويغور أصحاب الدولة الشرقية فى منغوليا مباشرة. وقد نقلوا اللغة الأويغورية القديمة التى كانوا يستخدمونها من هناك إلى الدولة الأويغورية الأكثر اتساعاً فى منطقة تاريم. أما اللهجة البوذية فيما قبل الأويغور فى منطقة تاريم قد استخدموها فى الأصل. وقد أصبحت اللهجة المقرونة بالياء هذه هى السائدة بعد تشكل الثقافة الأويغورية الحالية.

الكتابة الأويغورية

ينبغى أن ندرس خط الأتراك الأويغور على ثلاث مراحل:

١- استخدمت الكتابة الأورخونية – فى الفترة التى عاش فيها أتراك الأويغور بجوار أوردوس وأورخون وسلانكا (القرن السادس والسابع) واستخدموا هذا الخط بعد انهيار الامبراطورية الأويغورية وبعد مجيئهم إلى أراضى تركستان الشرقية على هيئة قوافل كبيرة بعد أن استوطنوا فيها، وذلك فى العصور التالية.

ولقد درس هذا الخط لأول مرة العالم الروسى يادرنتسوف فى سنة ١٨٨٩ خلال الأبحاث التى قام بها بجوار أورخون ونيس وقد اكتشف نفس الخط فى الألتاى وجنوب قازاقستان وتركستان الشرقية (إيلى – خوتن – كوما) وبجوار أراضى الياقوت، وكان هذا الخط يكتب فى العهود الأولى من اليمين إلى اليسار، ثم فى العهود المتأخرة من أعلى إلى أسفل مثل الكتابات الصينية.

٢- خط أورخون– لقد هاجر أتراك الأويغور فى هيئة قوافل داخل أراضى تركستان الشرقية، وبعد أن استقروا بفترة بدأوا يستخدمون هذه الكتابة (القرن السابع – القرن التاسع).

وبدأ أتراك الأويغور أساساً، بعد اكتشاف هذا الخط فى خلق أروع ثقافاتهم داخل أراضى تركستان الشرقية. وقد استخدمت هذا الخط أيضاً أقوام تركية أخرى، وقبل هذا الخط أيضاً المغول والمانجو، وكانت كل أمور الدولة تكتب بهذا الخط فى امبراطورية جنكيز، ولقد كتب كويوك خان كل مكاتباته مع البابا بالخط الأويغورى أيضاً. وكتب يوسف خاص

حاجب مؤلفه المسمى قوتادغو بيليك بهذا الخط، وقد استمر أتراك الأويغور وبعض القبائل التركية فى استخدام هذا الخط فترة طويلة أيضاً بعد اعتناق الإسلام.

وعلى سبيل المثال فقد أمر السلطان محمد الفاتح بكتابة أحد الفرمانات بهذا الخط فى القرن الخامس عشر. وهذا الخط عبارة عن ثمانية عشر حرفاً، وعلى سبيل المثال فإنه يعبر عن حروف مثل "F-P,b" بإشارة واحدة فقط. وتدخل الحروف فى بداية الكلمة وفى آخرها وأوسطها فى أشكال مختلفة عن بعضها. ويكتب هذا الخط أيضاً مثل الكتابة العربية من اليمين إلى اليسار.

٣- الخط العربى:

اقتبس أتراك الأويغور الخط العربى بعد أن اعتنقوا الدين الإسلامى ٩٣٢-٩٧٦، وقد كتب اللغويون والشعراء والأدباء مثل محمود الكاشغرى وأحمد يوكنكى وبلال ناظم وكل الكتاب الذين جاءوا بعدهم، كتبوا مؤلفاتهم بالخط العربى.

الدين عند أتراك الأويغور

آمن أتراك الأويغور بالديانات البوذية والمانية وذلك بعد ديانة كوك

طانري التي كانت دين الأتراك القدماء، حتى اعتنقوا الديانة الإسلامية ويرجع لقاء الترك مع دين بوذا إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وبينما كانت الديانة البوذية تنتشر بين أقوام الهون وأقوام الكوك ترك فإنه كان ينتشر أيضاً بين الأويغور. ويعتقد أن مدناً ومراكز مثل باي وكوجار وطورفان وقره شهر ولوب نور وكريا ونيّة وميران ولولن(كرورن) قد أصبحت مراكز للدين البوذي. ولقد أمر حاكم أتراك الأويغور كول بيلكة ٦٨٥-٧١٢م بإنشاء معبد كبير من أجل بوذا في «باي» (في زنكين أو في زنكين شهر).

واعتنق أتراك الأويغور الديانة المانية بعد سنة ٧٦٢م، وكان بوغو قاغان الذي ذهب إلى وسط الصين في هذا التاريخ، قد التقي بالرهبان الصغديين هنا، وبعد أن تعلم بوغوقاغان الديانة المانية جيداً وأخذ في معيته أربعة من الرهبان الصغديين.

وبعد أن رجع إلى مدينة قره بلا ساغون بمدة، أصدر الأوامر اللازمة من أجل اعتناق هذا الدين ديناً رسمياً للدولة. وكان بوغو قاغان يتمنى لأتراك الأويغور أن يتركوا دين بوذا ويعتنقوا الديانة المانية جميعاً.

وذلك لأنه كان يريد أن ينقذ شعبه من تأثير الصينيين الذين كانوا يعتنقون نفس الدين. ولكن انتشرت الديانة البوذية مرة أخرى بين أتراك الأويغور مع قتل بوغوقاغان نتيجة حادثة في سنة ٧٧٩.

وإذا كان أتراك الأويغور قد اعتنقوا ديانات متعددة كثيرة إلا أنهم

قد أمنوا بالإله الواحد خالق الكائنات. ومن المعروف أنه قد استخدمت بين أتراك الأويغور جمل وتعبيرات مثل الإله واحد و»وخلق الإله» و «إذا أراد الإله» وهذا يشير إلى أن أتراك الأويغور قد عاشوا حياة قريبة جداً من الإسلام.

وكان أتراك الأويغور قد بدأوا يعتنقون الإسلام اعتبارا من سنة ٩٣٤ ميلادية، و٣٢٣ هجرية. وقد اعتنق الإسلام فى البداية ساتوق بوغراخان الحاكم التركى الأويغورى. وقد اعتنق الإسلام كل أتراك الأويغور بصورة متدرجة فى عهد حكام مثل: ساتوق بوغرا خان وموسى بوغراخان الذى جاء بعده وهارون بوغراخان، وبدأوا يدخلون فى إطار ثقافى جديد.

الفن والعمارة

ا- التصوير :

كانت التصاوير الجدارية أحد الفنون الرئيسية لأتراك الأويغور، وكان أتراك الأويغور – مثلما كان فى القبائل التركية التى جاءت قبلهم- قد اهتموا بفن التصوير Lack للملصوق على القماش الكتانى، وفن التصوير بشمع العسل المنفذ على الخشب المغطى بالجص، ومن التذهيب على الورق والحرير، وفن التصوير المنفذ على الخيش، وتصاوير الكتب، وفن الطباعة على الخشب. ومع ظهور أتراك الأويغور، فقد ظهر أسلوب

وفن وتغير فجأة فى فن التصوير التركى، واستمر هذا التيار الجديد لأتراك الأويغور من سنة ٦٠٤ حتى سنة ١٢٥٠ ولقد كان تأثير أتراك الأويغور فى هذا التيار الجديد عظيماً باعتبارهم قبيلة تركية أظهرت تقارباً كبيراً مع الثقافة الشرقية. وعندما وصل إلى مستوى «مدرسة» مستقلة بالخصائص القومية والمحلية فى دنيا الترك الغربيين التى استمر فيها التأثير الهيلينى والصغدى والهندى عبرّ تأثير الشرق الأقصى عن نفسه سواءً فى التصوير التركى وسواء من الناحية الفكرية وذلك بواسطة الأويغور.

وإذا كان أتراك الأويغور فى القرن السابع على وجه الخصوص قد تمكنوا من التعرف عن قرب على فن عهد أسرة تانج[1] الحاكمة التى كانت قد ظهرت حديثاً، إلا أنهم قد عبروا عن تمكنهم من أن يبدعوا – بأصالة – فنون التصوير الخاصة بهم سواء من ناحية الموضوع، وسواء من ناحية الأسلوب ويوجد فى هذه التصاوير على سبيل المثال فارس يلقى بسهم إلى الوراء، والخطوط الجميلة للفن الصينى إلى جانب تصاوير الجنة، وألوان celeingen وأشكال زخرفية لموضوعات. والخلاصة أننا – من هذه الوجهة يجب أن نربط الفن بالدقة وبمكانة الفن الصينى الذى يتجه نحو الجمال وبتقاليد الترك البرية الجميلة. وهكذا فإننا حتى إذا ربطنا البداية فى فن التصوير بالقبائل التركية الأخرى، فإن الأويغور قد عملوا على إحياء فنون كثيرة جداً طوال مئات السنين، وأوصلوها إلى أعلى درجاتها وحتى أنها لم تبتعد عن صفة الكاريكاتورية.

---

[1] أسرة تانج أسرة صينية حكمت الصين فى الفترة من (٦١٨م– ٩٠٧م)

وتتعلق التصاوير الجدارية لأتراك الأويغور بالنصوص الدينية المانية والبوذية على وجه العموم. وتروى فى الرسوم الجدارية التى بالمعابد رحلات الرهبان الأصليين وأحداثها، وتحكى أحد التصاوير الجدارية فى معبد «مينغ أوى»(ألف مسكن) وفاة أحد الرهبان الأصليين، ومن حوله الرهبان الذين يقومون بالحداد، وكذلك تلامذته. ويحكى اصطفاف الأشكال فى صف واحد منتظم، ووقوفها منتصبة تحكى نظام العصر التركى، ويظهر فى التصاوير الزيتية الرحال الذين يريدون أن يصوروا أنفسهم، وكذلك صور الأمراء الأويغور بشكل واقعى جداً. وتصاوير الأفيال التى تتخذ مكانها فى التصاوير الجدارية كثيرة. والفيل رمز للبيئة الطيبة والقلب النظيف والصداقة. وقد تم التعبير عن سوء الفهم بين الفيل والملك فى أحد هذه التصاوير، وقد فضل أتراك الأويغور– من ناحية الألوان– البراقة وخاصة الأزرق الداكن والأحمر.



ولم يستخدم فنانو الأويغور القلم من أجل أعمال الكتابة، ويروى محمود الكشغرى أن أتراك الأويغور قد قطعوا الأقلام من الشجر على عكس الصينيين. ولم يكن الزيت يفرد فى صورة معجون، بل كانت توضع فى صورة بجوار صورة.

إن وحدة الفيل الذى تتخذ مكانة بين التصاوير الجدارية هى رمز الفئة الطيبة والقلب النظيف والصداقة. وقد صنع تمثال الفيل الذى اكتشف فى «صورجوق» لنفس السبب.

وكان بوذا يتم إظهاره بطلاء خفيف، والشخص المهم أيضاً كان يتم إظهاره بالظلال على وجهه.

وعندما نصل إلى تصاوير الكتب، فإن النصوص البوذية كانت بالأويغورية، وكان فن التصوير وفن التصوير الجدارى هو نفسه.. وكان يغطى بطلاء شفاف فوق الكتابات المكتوبة بالحبر الأسود والأحمر. وكانت الأسطح المذهبة تميز بالحبر الأسود والأحمر. ولم يكن هناك فرق بين فن الكتاب المانى والفن البوذى. وكان يغلب على تصاوير الكتب الأسلوب والتكنيك الموجود فى التصاوير الجدارية بـ «قوجو»(الإديقوت). ومن ناحية الأسلوب كان الكل يعتمد على التقاليد. وفى الأزمنة القديمة بينما كان يفسح المكان للضوء وتضاد الظلال، إلا أنه فيما بعد كان التكنيك يُظهر تقدماً تصويرياً.

والأوراق كانت معدات الكتابة المستخدمة من أجل الأرشيف، وكان الترك الأويغور يعرفون استخدام الورق أيضاً قبل الأوربيين، وقد تبقت حتى زماننا هذا مواد أرشيفية أويغورية كثيرة جداً.

توجد من بينها موضوعات قليلة هامة مثل تأجير حديقة صغيرة، ومثلما كانت مجموعات كبيرة تعرف الكتابة، فقد كانت الأكثرية أيضاً تعرف التعبيرات القانونية المستخدمة. وطبقاً لما يذكره فون لو كوك» فقد كان الأويغور قياساً بأوربا فى ذلك العهد متفوقين جداً فى هذا المجال. بينما يرى كم قائد قلعة أوربية كان يعرف الخط ويتمكن من أن يعقد

اتفاقية بتعبيرات قانونية مناسبة، فإن القروى لدى الأويغور والعامة كانوا يستطيعون ذلك.

أما البنود والقوانين القضائية فقد كانوا يعرفون إجراءاتها القانونية التى تطورت بدرجة عالية وخضعت للنظام جيداً.

واتبع فن طباعة الكتب التى كانت وسيلة ثانية عظيمة لانتشار الثقافة اتبع نفس السبيل مع شئ قليل من الإبطاء. ولم يكن مخترع المطبعة هو جوتنبرج أو كوستنز بل كانوا مطوريها فقط. وكان أتراك الأويغور يعرفون المطبعة منذ قرون.

وكان فن صناعة الخزف فى مدن تورفان وكاشغر وخوتن بتركستان الشرقية قد تطور جداً وكان الفخار يطلى، وتنفذ عليه كل أنواع الزخارف وكان أكبر هذه الفخاريات التى تنفذ فى شكل جرة قد استخدم كتنور، وكان أتراك الأويغور قد بدأوا يطهون خبزهم فى تلك التنانير (الأوانى).

وكان أتراك الأويغور اعتبارا من القرن الأول الميلادى يذيبون النحاس والحديد والفحم والفضة والذهب ويعرفون تشكيلها.

وقد اكتشفت مواقد معدنية مصنوعة من أجل صهر الحديد فى خرائب شمال ناحية «نيَّة» وجنوب ناحية بوتاى ولوب، وذلك خلال الأبحاث التى تمت فى صحراء تكلامكان فى عام ١٩٥٩. أما فى كوجار فقد اكتشفت أوانٍ كبيرة صنعت من أجل صهر النحاس والفضة

وطبقاً للمعلومات التى أمدنا بها جغرافيو الصين على عهد أسرة «وى» الحاكمة فإنهم يروون لنا أنهم كانوا يشعلون النار فى الليل فى شمال مدينة كوجار بحوالى ٢٠٠ كيلو متر، وأنها كانت تصبح فحماً، وطبقا لهذه المعلومات فإن ستة وثلاثين خانية كانت تستفيد من هذا الفحم. وطبقاً لهذه المعلومات فإن أتراك الأويغور كانوا يعرفون تشغيل الفحم اعتبارا من سنة ٣٣٤م. وكانوا يذيبون المعادن الأخرى بناره، وكانوا يصنعون معدات مثل الأسلحة، والمطرقة، والجاروف، والبلطة، والفأس. وكان أتراك الأويغور حتى العهود المتأخرة ماهرين فى أعمال الحدادة والنحاس وتشكيل الذهب.

ومع تقدم أعمال الحدادة فقد ارتقى فن الزراعة والرى لدى أتراك الأويغور، وكان أتراك الأويغور يعرفون حفر القنوات فى القرن الثانى الميلادى. وكنتيجة لهذا فقد تقدم فن حفر القنوات فى تركستان الشرقية، وكان أتراك الأويغور فى تلك العهود يعرفون زراعة القمح والذرة والقطن والفاكهة والخضروات، وعلى سبيل المثال فقد صودفت داخل الجرار المكتشفة فى خرائب بوتاى أيضاً حبوب للقمح والذرة والكتان وأقمشة أطلس(نوع من النسيج القماش) وحريرية. وكانت مدينة خوتن متقدمة جداً فى أعمال نسج القماش، وخلاف ذلك فقد تطورت أيضاً صناعة الحصير والسجاد لدى أتراك الأويغور (انظر الأستاذ أ. فون جابان:

A. von Gabain, Das leben in vigurischen konigreich von koco 850—1250, viesbaden 1973.

ب: التماثيل :

تظهر التماثيل فى آسيا الوسطى على وجه العموم خمسة أساليب هى أسلوب جندهارا وأسلوب طوخار وأسلوب الترك الغربيين والأسلوب الأويغورى المبكر ثم الأسلوب الأويغورى.

ظهرت فى البداية تماثيل بحجم الشخص العادى ثم تركت مكانها بالتدريج للتماثيل النصفية (أى التى تمثل النصف الأعلى من الجسم البشرى) والتى كانت تبلغ عشرة أمتار. وشيد أتراك الأويغور النماذج المتعلقة بفن التماثيل فى مدن ونواحى مثل كوجار وخوتن ونيّه وآقترك. ويغلب أسلوب جندهارا على التماثيل الموجودة فى دائرة كوجار فقد أصبحت آثاراً فنية تقرب من الصور الشخصية وتبدى خصائصها القديمة.

جـ- العمارة :

تنقسم فنون البناء فى الحياة المستقرة فى آسيا الوسطى إلى ثلاثة أقسام، المبانى التى طراز حجراتها يذكرنا بالخيمة والمرتبطة بالفرسان الرُّحل، والمبانى المرتبطة بالعمارة الهندسية والبوذية والصينية، ثم المقامة على النمط الصينى فقط.

ويحتل الموقد مكانة هامة بين العناصر المعمارية، كانت أجزاء المبانى أى الحجرات والغرف تشيد على طراز الخيمة وفى خطة مستديرة ومربعة،

كما كانت ذات إطار عال ومقببة. وكان يطلق إسم باليق على المدن المحاطة بسور فى تلك الفترة. أما المبانى الرئيسية التى كانت تزين المدن فكانت هى القصور والأديرة.

وكانت المدينة الأويغورية أى الباليق تحاط بخنادق من سبع طوابق كما كانت تحاط بسور فى ثلاث طوابق. وتحمل القلعة الداخلية إسم غطاء الجيش. وكان قصر الحاكم يوجد فى هذا المكان. وكانت المعابد والأديرة تشيد بأسلوب متناسب مع عمارة القصر. وقد شيدت أيضاً على سد عالٍ محاط بالجدران، وكان المبنى الذى يوجد به تمثال بوذا أو تماثيل الربّ فى الوسط، فقد كانت تصطف حجرات الرهبان حول السور، ومن المعتقد أن معبد «منج اوى» (ألف مسكن) واحد من الآثار المعمارية الفريدة لأتراك الأويغور.

المسرح :

يمتد تاريخ المسرح لدى أتراك الأويغور حتى القرن الأول الميلادى، وقد وردت معلومات غزيرة عن فن المسرح لدى أتراك الأويغور فى الأنماط المنفذة بالحفر على الجبال بجوار قورغاس وتكس، وكذلك فى الوثائق المتحصلة نتيجة الحفريات التى تمت حول تورفان وخوتن ولوب نور، وفى التصاوير الجدارية المنفذة على معبد «منج اوى» (ألف منزل)، وخلاف ذلك فقد ذكر فى المؤلف المسمى «خوتن القديمة» Hotenskie Drevnost الذى كان قد ألفه ن. ف. دياقونوفا و س.س. سوروكين

وها من العلماء السوفيت أن القصور التى كانت عبارة عن سقف مقام على أربعة أعمدة فى تربة من الطين، خلال الأبحاث التى تمت بجوار خوتن لم تستطع عناصرها المعمارية المشاهدة لدى أتراك الأويغور أن تبتعد عن التأثير الصينى من ناحية والتأثير الهندى البوذى من ناحية أخرى، فمثلاً كان عنصر العقود المستخدمة، على شكل حدوة الفرس فى ضرار جندهارا، أما العمود فكان يبنى قصيراً وعلى قاعدة تتخذ شكل زهرة اللوتس الموجودة فى العمارة الصينية والهندية. وقد تطور هذا العنصر على يد أتراك الأويغور، وقد وصل مع الوقت إلى شكل دقيق وطويل وجميل. وكان معظم الأعمدة الأويغورية يبنى من الشجر، وكان يزخرف بالزيت والتذهيب، أما زخارف السقف فيسجلون أنها نفذت من الجص فى شكل تاج محاطة أطرافه بوحدات من زهرة اللوتس، وأنه كانت هناك أشكال لفنانيهم وهى مكان مخصص لملابس القروى، وأنها الآن مخبأة فى متحف الدولة للآثار بلننجراد.

لقد تطور المسرح البدائى الذى كان موجوداً فى العهود الأولى للأويغور الأتراك منذ إبتدائهم التعرف على دين بوذا وحتى فى العهود التالية وقد وجدوا رواجاً. وكان المبشرون يعرضونه للشعب عن طريق مسرحه الطقوس الدينية فى العهود الأولى من أجل نشر الدين البوذى. وفى النهاية فقد تمثل الرهبان البوذيون الأويغوريون الأتراك هذه الأصول. والنتيجة أنه قد ظهر فن مسرحى جديد أى «المسرح الأسطورى» مع التقاء فن المسرح البدائى القومى لهم مع فن المسرح الدينى.

ولقد تكلم الرحالة الذين ذهبوا إلى وطن أتراك الأويغور فى العهود القديمة تكلموا عن فن المسرح التركى الأويغورى فى مذكراتهم بشئ من الإطراء وعلى سبيل المثال يمدنا الرحالة الصين سيو أن جانج الذى مر من كوجار إلى الهند فى عام ٦٣٠، بمعلومات قيمة تتعلق بالمسرح الأويغورى فى كتابه المسّمى «مذكرات عن المنطقة الواقعة غرب سلالة تانج العظمى» – وخلاف ذلك، فإنه من المعروف أن الموسيقيين الأتراك الأويغور فى عصر أسرة تانج (٦١٨-٩٠٧) وفرقهم المسرحية القومية وفنانيهم المسرحيين قد أدوا حفلات موسيقية ومثلوا مسرحيات فى القصور الصينية.

ولقد عبر فن المسرح لدى الأتراك الأويغور عن تطور فى المحيط الإسلامى. ولقد حوّل كتّاب مثل ضيا حمدى وأحمد ضيائى ولطف الله مطلب ومسعود صبرى بايقوزى، أعمالاً تراجيدية ودرامية وكوميدية وموسيقية مثل «غريب وشاه سنم» و»فرهاد وشيرين» و»طاهر وزهرة» و «ليلى والمجنون» و «وامق وعذرا» و»مسعود ودلارا» و»ناظوغوم ورابية وسعدين» و»الجبل الدامى» و»البنت المسكينة» و»آرشينى مال آلان» و «سونكن بول طرزلر» و»صامصاق آكام قاينايدو» و «آنارخان» والتى كتبها أسماء شرقية عظيمة وأدباء أتراك أويغور، حولوها إلى مسرحيات.

وكانت توجد ثلاثة مسارح فى أوروبجى حتى سنة ١٩٤٩، وكان يوجد مسرح واحد لكل مدينة ومركز آخر للتركستان الشرقية، وكان لكل مدينة وناحية فنانوها، وكانت المسرحية المعروضة فى أوروبجى تعرض

على مسارح المدن والنواحي الأخرى في مدة قصيرة. وعلى سبيل المثال، بعد أن شاهد كاتب هذه السطور مسرحية «طاهر وزهرة» التي عرضت على المسرح في أوروبجي، بعد أن شاهدها بخمسة عشر يوما، رآها أيضاً في «ينكي حصار» التي هي ضمن نواحي كاشغر، وكان في «ينكي حصار» مسرح يمكن أن يتسع لثلاثمائة شخص. وعلى الأرجح كان يوجد بكاشغر مسرح دائرى (دّوار) يمكن أن يتسع لألف شخص. وإذا كان يتم تغيير الديكور خلال الفَصل الواحد فإن المسرح كان يدور بمساعدة pedal سفلي ويدخل الممثلون الذين اتخذوا أماكنهم من أماكن جانبية بالمسرح ويستمرون في أدوارهم دون إضاعة للوقت. ونتيجة للدوران فإن الفنانين الذين يزيغون إلى أماكن جانبية بالمسرح يكونون قد قاموا بالاستعدادات من أجل المناظر الأخرى دون تغيير للديكورات. وهكذا يكون الوقت لم يضيّع كما أنه يكون قد قدّم ديكور أكثر ثراء للمتفرجين.

الصحافة والنشر:

لقد ذكرنا في كلامنا من قبل أن معلومات أتراك الأويغور عن الورق والمطابع والنشر كانت قديمة جداً. ولكن أتراك الأويغور حرموا من هذه الإمكانيات في العصر المانجو صيني والصين القومي وعصر الصين الشيوعية.

وكانت «جريدة ولاية إيلي» هي أول جريدة تصدر بمفهوم حديث في تركستان الشرقية. وكان الصينيون قد أغلقوا هذه الجريدة اليومية التي



أصدرها عبد القيوم حفظى سنة ١٩١٠، أغلقوها عام ١٩١١ بعد عددها الرابع والسبعين.

وبعد ثمانية أعوام من إغلاق هذه الجريدة بدأت أسرتا حسين وفاضل يونس مرة أخرى فى إصدار جريدة تسمى «الكلمة الحرة» فى عام ١٩١٩ فى «إيلى». وقد أغلقها الصينيون أيضاً فى عام ١٩٢١.

وبعد أن أعلنت جمهورية تركستان الشرقية المستقلة فى تركستان الشرقية بُدئ فى إصدار جريدة «الحياة الجديدة» فى كاشغر. وكان يقوم برئاسة تحرير هذه الجريدة قوتلوق شوقى من القوميين. واستمرت جريدة «الحياة الجديدة» فى الصدور فترة طويلة بعد انهيار جمهورية تركستان الشرقية المستقلة، وإذا كانت قد صدرت صحيفة تسمى "Bizim Tavas" فى مدينة جوكجك بتركستان الشرقية فى نفس الأعوام، وجريدة «أخبار آقصو» فى آقصو، و»نمر إيلى» فى إيلى عام ١٩٣٤، وصحيفة «شنجيانج الجديدة» من قبل جمعية أويغورية تركية فى أورومجى عام ١٩٣٥، إلا أن الحكومة الصينية قد أغلقتها جميعاً. وقد سمح بصدور الجريدة المسماة «شنجيانج» الذى كان رئيس تحريرها عضواً رسمياً فى حكومة شينج شى شاى فى هذا العهد، وكان يتم إرسال هذه الجريدة إلى الولايات الأخرى بتركستان الشرقية.

واضطر الصينيون فى عهد ماو بعد ثورة ١٩٤٤ إلى إعطاء جزء من المختارية (حق الاختيار) إلى شعب تركستان الشرقية، وبدأ القوميون

الذين استفادوا من ذلك فى إصدار الجريدة المسماة «تركستان الشرقية» الحرة فى «إيلى» وبعد أن اضطر ثوار إيلى إلى الاتفاق مع الصين القومية، استمرت هذه الجريدة فى الصدور باسم «ثورة تركستان الشرقية».

أما فى سنة ١٩٤٦ بدأت جريدة «أرك» فى الصدور تحت إدارة عيسى يوسف آلب تكين ورئاسة تحرير للمرحوم م.أمين بوغرا، واستمرت هذه الجريدة فى نشرياتها حتى سنة ١٩٤٩ أى حتى غزو الصين الحمراء.

وقد أصدر قوربان قويداد الذى تخرج من مدرسة المعلمين بتركيا فى نفس الأعوام الجرائد المسماة «يالقين» و«الحياة القومية» و«خلق آذارى» و«الصراع» و«الحكمة» وأيضاً كانت توجد مجلة تسمى «حضارة شنجيانج» المصورة التى أصدرها مكتب استعلامات حكومة تركستان الشرقية وكانت تحت إدارة المرحوم محمد أمين بوغرا بك فى نفس الأعوام. وكانت هذه المجلة تصدر بالأويغورية والإنجليزية والصينية.

التعليم:

نستطيع من خلال الأمثلة التى سقناها من قبل أن نرى أن وضع الثقافة والتعليم فى العصر الإسلامى وما قبله كان متقدماً جداً لدى أتراك الأويغور. ومن المعتقد أن مدينة كاشغر التاريخية كانت واحدة من مراكز الثقافة والتعليم الهامة ليس فقط لدى أتراك الأويغور بين عامى ٨٤٠- ١٢١٢ بل لدى العالم التركى والإسلامى أيضاً، وكان الطلاب يأتون إلى كاشغر بأعداد كبيرة من الدول المجاورة من أجل الدراسة وكانوا يتلقون

التعاليم الدينية من خلال كتب رجال العلم العظماء الذين أنجبهم الشرق مثل الفارابي وابن سينا وعبد الرحمن الجامى وعلي شيرنوائى، وذلك فى مراكز تعليمية مثل مدرسية الحانية (الملكية) ومدرسة عيدكاه ومدرسة أوردا آلدى ومدرسة وانلق ومدرسة جاسا وسوق الفاكهة. وقدمت كتب العلماء الذين أنجبتهم الأمم الغربية والشرقية فى مكتبة المسعودى فى كاشغر، وسواء ترجمات هذه الكتب لفائدة الشعب.

وبعد أن دخلت تركستان الشرقية تحت الغزو المانجو صينى افتتح الصينيون مدرسة إعدادية تدرس باللغة الصينية ومدرسة للمعلمين ومدرسة للحقوق و ١٤٨ مدرسة إبتدائية، وذلك فى سنة ١٨٧٦ حتى سنة ١٩٣٣. ومجموع الطلاب الذين يدرسون فى المدارس الإعدادية مائة وخمسون، أما فى مدرسة المعلمين فكانوا ٢٢، وعدد التلاميذ الذين يدرسون فى المدارس الإبتدائية ٦,٨٢٥، أما عدد المدرسين فكان ٢٥١ مدرساً.

واعتبارا من سنة ١٩٣٣ فقد ارتفع عدد المدارس الإبتدائية ٥٨٠ مدرسة، وارتفع عدد الطلاب إلى ٩٠,٣٣٣ طالباً، والمدارس الإعدادية إلى أربعة، وارتفع عدد الطلاب إلى ٣٢٠٠، ومدرستان ثانويتان وعدد الطلاب ١٦٠٠ طالباً، وخلاف ذلك فقد افتتحت دورات ليلية تعلم القراءة والكتابة الموجود منها ١٥,٩٥٠. ومن المعروف أن عدد مراكز التعليم فى تركستان الشرقية فى سنة ١٩٣٦ وقد بلغ ١٩٨٠ مركزاً، ودرس بها ١٢٩,٦٤٩ طالب أويغورى ولم يتمكن أتراك الأويغور من إيجاد فرصة تلقى تعليم تاريخي أو أدبي أو ثقافى فى هذا الجانب فى

المدارس بعد أن تعرضوا للغزو المانجو صيني سنة ١٧٦٠ – ١٩١١، والصين القومية ١٩١١-١٩٤٩، والصين الحمراء ١٩٤٩ والمعلومات التي تخص وطنهم هي معلومات مكررة. وكان تدريسها ممنوعاً، وكان هدف المدارس هو تعيين أتراك الأويغور، وكان يتم تدريس تاريخ الصين وآدابها وثقافتها. وكان الناس يتجنبون إرسال أطفالهم إلى مدارس كهذه وإذا كان قد استفيد من ضعف الحكومة الصينية بين تواريخ ١٩١٢- ١٩١٨، ١٩٣١- ١٩٣٣، ١٩٤٤-١٩٤٩ وإذ كانت قد شُكلت بعض المراكز التعليمية القومية الحديثة، إلا أنها قد أغلقت بعد مدة، وتعرض منشئوها لعقوبات شديدة.

ولا أستطيع أن أتوانى عن نقل مذكرات صديقي المحترم شكور توران بك، ذلك أن المحترم شكور طوران حينما كان يدرس في مدرسة المعلمين العليا في أورومجى، كان بولات قادرى تورفانى مدرساً للتاريخ، وعندما كان يدخل الفصل في دروس التاريخ كان يسأل الطلاب قائلا: أهو تاريخ الصين؟ أم هو تاريخ الترك. ومن الطبيعي أن الطلاب عندما كانوا يقولون تاريخ الترك، كانوا يوقفون مراقباً أمام الفصل. وكان المرحوم بولات قادرى تورفانى يقوم بإلقاء دروس تخص تاريخ الترك.

أنواع الطعام الأويغورى:

إن عدد الأطعمة التركية الأويغورية يزيد على ١٥٠ نوعاً. ونستطيع أن نجمع المائة وخمسين نوعاً من الطعام هذه في ستة مجموعات كما يلي:

١- أطعمة العجائن، ٢- أطعمة الأرز، ٣- أطعمة اللحوم، ٤- أطعمة القرع، ٥-أطعمة البيض، ٦- أطعمة الخضروات.

توجد عدة أنواع من الطعام فى كل مجموعة فى هذه الأطعمة المجتمعة فى ستة مجموعات فمثلا توجد أربعة أنواع من الأرز لدى أتراك الأويغور (أرز باللحم، أرز باللحم المفروم، أرز بالـ Pette، وارز باللحم المفروم ملفوف فى ورق العنب. وتوجد تسعة أنواع من أطعمة المكرونة وتوجد ثمانية أنواع من عجائن الزبادى (عجائن باللحم، عجائن بالكباب، وعجائن بالخميرة، وعجائن جوسى، وعجائن بالسكر، وعجائن بالماء «جواوا» وعجائن الطعام، وعجائن بودونه، وتوجد عدة أنواع للطعام فى مجموعات الأطعمة الأخرى مثلما سبق من الأمثلة التى سقناها آنفاً.

وتطبخ المائة وخمسون نوعاً من الطعام هذه فى سبعة أشكال، مغلى، ومقلى، ومدخن، ومدفون، ومشوى، ومقطع، ومخدَّر، وثلاثة منهم يجهزون فى إناء كبير وصحن وتنور. ومن أجل إعداد أطعمة الأويغور لا يكفى طبخ الطعام فقط، بل يجب أن تعرف فى أى طعام سنضعه، وأى نوع من الخضروات والبهارات سيوضع أيضاً.

ويدَّعى الذين يعرفون اسماء بعض أطعمة العجائن الأويغورية أنها أطعمة صينية. وهذه نظرة خاطئة بالنسبة لنا، لأنه ينتج الكثير من الأرز والقمح فى الصين. ويأكل معظم الصينيين الأرز المسلوق وقد انتقل القمح إلى الصينيين من الترك، ويعتقد أن معظم الأطعمة الأويغورية

قد انتقلت إلى الصين عن طريق تونكان (المسلمين الصينيين). وهكذا فسدت الأسماء القديمة للأطعمة الأويغورية، وانتقلت إلى المصادر الصينية. ومثلما سبق أن ذكرنا فإنه لا توجد مصادر كافية بين يدى أتراك الأويغور من أجل تمحيص هذا، ومن أجل هذا فقد استمر أتراك الأويغور فى استخدام أسماء هذه الأطعمة التى أصبحت خاطئة.

الطبابة لدى أتراك الأويغور:

كان الطب متقدماً لدى أتراك الأويغور، وقد نشروه إلى أماكن بعيدة. وهناك وجوه للشبه بين طبابة الأويغور والطب الشعبى فى الأناضول من عدة أوجه. لقد استخدم أتراك الأويغور نظاماً مختلفاً تماماً عن جيرانهم الأساسيين مثل الهند والصين فى علاج مرضاهم. وقد نمت فى وطن الترك بعض المواد العلاجية مثل الأعشاب والخضروات والفاكهة. وقد طوروا عدة مواد علاجية ذات أصل حيوانى. وقد تطور فن العلاج كثيراً لدى الأويغور بواسطة العلاج المجلوب من الدول المجاورة نظراً لعدم وفرته لديهم بسبب ظروف المناخ، وقد حققوا نجاحات عظيمة فى علاج المرضى. وفى عام ٧٣٠م ذهب الموسيقى التركى الأويغورى العظيم نانتو إلى الصين. وقد نقل علماء وأطباء الصين بعض أنواع العلاج التى لم يعرفوها من نانتو. وأصبح نانتو – الذى كان طبيباً – فى نفس الوقت – مظهراً للاهتمام الكبير فى الصين. وقد أحيا أتراك الأويغور بنجاح، الأصول الطبية التى استخدموها منذ قرون حتى فترات متأخرة.

الموسيقى والآلات الموسيقية:

تحفل المؤلفات التى كتبها العلماء الغربيون والشرقيون بمعلومات وفيرة عن حب أتراك الأويغور للموسيقى ومهارتهم فيها وآلاتهم الموسيقية.

وعلى سبيل المثال يذكر الرحالة المسمى شوان زيان ما يلى عن الرحلة التى قام بها إلى مدينة خوتن فى أوائل القرن السابع:

«إن الحالة الإقتصادية لشعب خوتن جيدة جداً، ويعيش شعبها فى رفاهية وقد رأيت أنهم شغوفون جداً بالموسيقى والأغانى والفولكلور» ويذكر نفس الرحالة مايلى عن شعب كوجار: «إن شعب كوجار هم أساتذة الآلات الموسيقية، وعلى وجه الخصوص فهم متمكنون جداً فى عزف المورن والكونغو».

ويذكر ويت هو هان مايلى فى كتابه المسمى «مذكرات رحلة الغرب» مؤيداً شوان زيان:

ويذكر وان ين الصينى الذى كان موجوداً فى قره خوجه كسفير فى فترة حكم أرسلان خان (٩٨١) مايلى، فى المذكرات التى كان قد كتبها:

«يعزف شعب قره خوجه بتمكن شديد على الكونغو ذا الخمس والعشرين وتراً، والناى. وتكون آلات الرباب معهم دائماً عندما يذهبون فى نزهات برية. وكانت الموسيقى تُعزف وقت الطعام حينما كنت موجوداً

فى حضرة أرسلان خان.»

يذكر ماركو بولو – الذى طاف فى عدة أماكن بتركستان الشرقية فى القرن الثالث عشر – مايلى عن أتراك الأويغور فى قومول:

«إن شعب قومول ذووا وجه باسم، وهم أهل مزاح، وهم مشغولون باستمرار بالموسيقى والأغانى والألعاب من أجل تسلية أنفسهم.

ويذكر هـ.هـ. باتوسوف فى كتابة المسمى» أغانى المزارعين» اثنين وستين نوعاً من الأغانى بأسمائها ونصوصها لأتراك الأويغور فى إيلى. ويذكر فى الصفحة الثامنة عشرة فى الكتاب إن أتراك أويغور إيلى فى عام ١٨٧١ كان لديهم سبع وعشرون نوعاً من آلة الرباب كانت تصنع يدوياً فى كاشغر، وأن الرجال والنساء والأطفال كانوا يستخدمون آلات الرباب بتمكن شديد. وطبقاً لما كتبه فإنه كان فى كل بيت تركى أويغورى آلة للرباب (كان هذا على نفس الشاكلة حتى سنة ١٩٥٠، وليس من الممكن معرفة الوضع اعتبارا من هذا التاريخ وما بعده.

وفى تاريخ سلالة سونج فى الصين بعض المعلومات عن الموسيقى التركى الأويغورى الكوجارى صاجيو، وعن الموسيقى الأويغورية للموسيقى التورفانى نانتو من الآلات الموسيقية.

وطبقاً لعبارة نانتو فإن الآلات الموسيقية التى لدى أتراك الأويغور أكثر من الآلات الموسيقية الموجودة فى المدرسة الموسيقية الموجودة

بالهند. ويؤيد عبارة نانتو هذه الرحالة المسمى وانجووى فى مؤلفه المسّمى «مذكرات الرحلة القديمة» وأ.برنشتام فى كتابه المسمى «قصص الشعب الأويغورى فى القرون القديمة والوسطى».

وهناك أيضاً تصاوير تبين فن الموسيقى فى عام ٧٤١، والآلات الموسيقية لدى شعب كوجار. وقد صُوِّر الموسيقيون الجالسون منقسمين إلى قسمين على سجادة ضمن هذه التصاوير. ويذكر المؤرخ الصينى فن جيان شن أن كل الآلات الموسيقية فى هذه التصويرة هى للأتراك الأويغور، وذلك فى كتابه المسمى «معلومات تتعلق بتاريخ الأويغور» وأيضاً يمدنا مؤرخ صينى آخر حن يان مو فى كتابة المسمى «موسيقى عهد تانج» بأسماء الآلات الموسيقية لدى أتراك الأويغور من القرن السابع إلى القرن الثامن، ومسودات هياكلها.

وخلاف ذلك فإن هناك المؤلفات التى كتبها مؤلفون أتراك أويغوريون عن الموسيقى وآلاتها. ويذكر الشاعر الخوتنى عصمت الله فى كتابه المسمى «تواريخ الموسيقين» الذى كتبه سنة ١٨٥٥ مستندا إلى مجموعة من المصادر، أن قادرخان ياركندى هو مخترع الآلة الموسيقية المسماة «هشتار»، وهذا أيضاً يثبت أن أتراك الأويغور كانوا هم الذين صنعوا آلات الرباب.

واعتماداً على الأمثلة التى ذكرناها آنفاً فإننا نستطيع أن نعد ثلاثة وستين نوعاً من آلة الرباب التى استخدمها أتراك الأويغور خلال القرنين

السادس، والعشرين:

١- آدى داب ٢- شالداب ٣- باقسى دابى ٤- داب دوساغى ٥- أيككى تره فيكه اورودبغان دومباق ٦- ايككى تارليق كيجك ٧- تورت تارليق كيجك ٨- اون تارليك كيجك ٩- قول توريلغازى ١٠- جن توريلغازى ١١- توريلغازى دومباغى ١٢- برليكى رواب ١٣- قشقر روابى ١٤- دولان روابى ١٥- قوش رواب ١٦- باش ناغرا ١٧- اوطورا ناغرا ١٩- ناغرا دومباغى ٢٠- قشقر دوتارى ٢١- زوتن دوتارى ٢٢- اوج تارليق طامبير ٢٣- بش طارليق طامبور ٢٤- ناى ٢٥ – ناى (اون دوشوكك) ٢٦- جاجابى ٢٧- جوب صابابى ٢٨- أكيز قوموزى ٢٩- قوموز وفى شكل الطنبور) ٣٠- طقطق ٣١- طقطق دومباغى ٣٢- صاتار رايككى طارليق ٣٣- صاتار (طقوز طارلين ٣٤- قالون ٣٥- كجك زن ٣٦- جون زن ٣٧- بيالة ٣٨- كولول ٣٩- فوترو (جونجا) ٤٠- جافجة ٤١- جويتاشى ٤٢- دومبرا ٤٣- يلله ٤٤- جان ٤٥- آيكنى ٤٦- هربى ٤٧- بارمان ٤٨- دمير ٤٩- قابو ٥٠- سكرييبكا ٥١- جوناى ٥٢- قوجار صونابى ٥٣- قارنى ٥٤- بت جاكور ٥٥- ركساوزا ٥٦- جهار طار ٥٧- هشتار ٥٨- سيت ٥٩- بشتار ٦٠- جونتار ٦١- زيلتا ٦٢- ينجيني ٦٣- جان.

وإذا كان أتراك الأويغور قد اخترعوا جزءاً كبيراً من هذه الآلات الموسيقية التى عددنا أسماءها، فإن جزءاً آخر قد أخذوه من جيرانهم

الآخرين العرب والهنود الصينيين. وخلاف ذلك فإن الصينيين قد أخذوا من أتراك الأويغور آلات موسيقية مثل كونحو ويونى وتوريلباز.

وفى نفس الوقت فقد أعطيت لبعض الآلات الموسيقية السالفة أسماء عربية وفارسية وهندية وصينية. وإذا كنا سنأخذ فى الاعتبار أن التبادل الحضارى السنوى الذى امتد قروناً قد أنمى التعبيرات التى استخدمها أتراك الأويغور فى عهود المانية والبوذية، وأن اللهجة التركية الأويغورية قد تغيرت، فإننا نجد أن هذا الحدث طبيعى جداً. وعلى وجه الخصوص فقد فسدت تعبيرات معظمها تركية أويغورية ودخلت اللغة الصينية، والمصادر التى تتعلق باللهجة التركية الأويغورية ليست كافية من أجل تمحيصها أيضاً.

ونحن عندما ندرس موسيقى أتراك الأويغور وآلاتهم الموسيقية يجب أن نذكر أنها تتكون من ١٢ مقام. وقد أصبح الإثنى عشر مقاماً لدى أتراك الأويغور ظاهرين فى ثلاثة عصور فيما بين القرن السابع والتاسع الهجرى. وذلك أنه كان قد أتم منها خمسة فى القرن السابع، وتسعة فى القرن الثامن، أما فى القرن التاسع فقد اكتمل الإثنى عشر مقاماً. وميزة الإثنى عشر مقاماً هذه قدرتها على جمع الخصائص القومية لأتراك الأويغور، وعاداتهم وتقاليدهم، وأشكال مجتمعهم وحياتهم، ورغباتهم وأمانيهم، باختلاف العصور التى مرت عليهم. وقد أظهرت الخمسة مقامات الأولى مهداة للشمس والقمر والنجوم والأرض والماء.

البنية الإجتماعية وأسلوب الحياة:

إن شخصية أتراك الأويغور تمثل غرورا منذ الميلاد، كما أنهم أناس خشنون بتأثير ظروف المناخ، ولذلك فإنهم لم يواجهوا بأية صعوبة فى تطوير إرادتهم القومية وثقافتهم اللغوية. ويمكننا أن نرى انتقال أتراك البرارى الفرسان إلى الحياة المستقرة، وإذابتهم لشخصيتهم داخل هذا الطراز، وأوجدوا نماذج لخلق حضارة جديدة لدى أتراك الأويغور لأول مرة. وإذا كان أتراك الأويغور قد ظلوا تحت تأثير الحضارتين الغربية والشرقية بسبب البيئة الجغرافية التى وجدوا فيها. فمن المقبول أنهم قد كانوا قوماً من الأتراك الذين قد ظلوا بمنأى عن هذه الثقافة التى تنسموها، وأظهروا نشاطاً ذهنياً، وكانوا ناجحين لدرجة أنهم أوجدوا حضارة خاصة بهم. وخلال فترة طويلة تقدر بخمسة قرون، ظل أتراك الأويغور مرتبطين جداً بالتسامح فى عقائدهم، ونجحوا فى انتهاج حياة بمجتمع البرارى التركية، والحياة المستقرة.

وأتراك الأويغور مرتبطون بالجنس الأوربى، ولهذا فإن الصينيين يعرّفون أتراك الأويغور فى التصاوير التى رسموهم فيها بأنهم قصار القامة، وذوو شعر طويل وأصفر، وأنف مستقيم، وعيون زرقاء. وهم مرتبطون جداً بتقاليدهم وملابسهم على وجه العموم ملابس متوسطة على طراز البرارى. وهناك الأحذية والأحزمة التركية المصنوعة من القماش أو الأحزمة الجلدية لتعليق الأشياء. ويعتقد الباحثون أن أتراك الأويغور كانت لهم زوجة واحدة وكانوا يحترمون زوجاتهم بلا حدود، ويعتقدون

أنهن لم يكنّ فقط نساء بل كُنّ رفيقات الحياة وكاتمي سرهم. وتُعرف الزوجات الأويغوريات بأنهن ذوات روح خفيفة جداً، ووقورات وكريمات. وملابسهن ملونة ذات زخارف كثيرة، ويحببن ارتداء الخرز والخلخال، وتضفر الفتيات شعورهن قبل الزواج، وبعد الزواج لديهن عادة فرقه إلى قسمين أو يسدلونه إلى الوراء فى شكلٍ معقود. ولم تكن زوجات الأويغور يكتفين فقط بالأعمال المنزلية، بل كُنّ فى نفس الوقت يعملن مع أزواجهن فى كل مجال (مثلما كان الحال فى الأناضول). وخلاف ذلك فإن من المعروف أن زوجات الحكام لدى أتراك الأويغور كانت لهنّ أدوارهن الهامة فى أمور الدولة فى بعض الأحايين.

كانت الزوجات الأويغوريات – اللاتى كُنّ ذوات روح رقيقة، ووقورات وكريمات – تتمتعن باحترام كبيرٍ داخل الأسرة.

القائد فى الأسرة هو الأب. وهو يشير إلى الأشياء التى كانت تؤدى فى الأسرة. وكان نفوذه على أبنائه كبيراً فقد كان يمكن أن يتخذ من أحد أحفاده ابنا له ويقوم بتربيته.

القسم الخامس

الاقتصاد الأويغوري حتى سنة ١٩٤٩

الاقتصاد الأويغورى حتى سنة ١٩٤٩

الزراعة:

كنا قد ذكرنا فيما سبق من حديثنا أن أتراك الأويغور قد انتقلوا لأول مرة داخل قبائلهم التركية إلى الحياة المستقرة، وعملوا بالزراعة منذ عهود قديمة جداً. وبعد أن انتقل أتراك الأويغور إلى الحياة المستقرة، فقد شكلت الزراعة عصب اقتصادهم.

وتشكل المساحات المزروعة فى تركستان الشرقية ١٪ من مساحة الدولة، ومقدار المساحات المزروعة ١,٣٠٤,٠٠٠ هكتار. وتشكل ٩٠٪ منها تقريباً أى ١,١٦٠,٠٠٠ هكتار منها الحبوب (القمح والشعير والذرة والأرز) وتعتمد الزراعة بدرجة كبيرة على الري بسبب جفاف المناخ، وتساعد على الرى بدرجة كبيرة الأنهار التى تنزل من الجبال التى يعد كل منها مخزناً للمياه وتحيط بالأحواض، مع ذلك فإن هناك أراضى من الممكن زراعتها دون ري. وهى القطاعات التى يكون المطر فيها بدرجة كافية، أو يكون مستوى المياه تحت سطح الأرض عالياً. ومن هذه الوجهة هناك فرق بين منطقة جونغاريا ومنطقة تاريم، وتقام الزراعة الجافة فى ١٥٪ من المساحات المزروعة فى منطقة تاريم.

ومن المعتقد أن منطقة تورفان ومارالباشى من أهم المراكز التى تزرع القطن بتركستان الشرقية فى سنة ١٩٤٩. وحسبما يُظن فقد كان ينتج ما يزيد عن ٣٠٠,٠٠٠ طن من القطن فى السنة بإمكانيات بدائية فى تركستان الشرقية فى سنة ١٩٤٢. ويجب أن يكون هذا الناتج قد زاد تحت ظروف العمل الحالية. وكان يتحصل على ٢٥,٠٠٠ طن قطن فى تورفان فقط فى تلك العهود.

وإذا كان معروفاً أن النباتات الصناعية فى تركستان الشرقية مثل زهرة القمر وبنجر السكر وصناعة الحرير كانت تتمتع برواج كبير، فإنه ليست بين أيدينا معلومات صريحة عنها. وياركند وخوتن هى مراكز صناعة الحرير فى تركستان الشرقية. وطبقاً للتوقعات التى كانت فى الأربعينات فإنه كان يتحصل من هذه المناطق على ما يقرب من ستة أطنان من الحرير الخام فى السنة.

وبالإضافة إلى كل هذا فلنتذكر أيضاً هذه النقطة، فإنه يزرع فى تركستان الشرقية ٢٥ نوعاً من الخضر، و ٣٠ نوعاً من الأعشاب الطبية و٢٠ نوعاً من الفاكهة و٣٥ نوعاً من الزهور. ويزرع ٢٢ نوعاً من الشمام، و٣٤ نوعاً من التفاح و١٣ نوعاً من العنب و١١ نوعاً من الخوخ و٩ أنواع من المشمش و٥ أنواع من الخوخ، وأسماؤها وأجناسها وأشكالها وألوان أنواعها من الداخل والخارج وطعمها مختلف عن بعضها الآخر.

تربية الحيوانات:

كان اقتصاد أتراك الأويغور فى عهوده الأولى اقتصاداً يعتمد على تربية الحيوانات، وكانت تربية الخيول والشياه والثيران والأبقار أساسية. وكانت تشكل مواد ومتطلبات الطعام والملبس والاحتماء المتحصلة من العناصر الحيوانية كانت تشكل أساس اقتصاد أتراك الأويغور.

وهذا الوضع موجود الآن، ومن المعتقد أن سفوح جونغاريا وسفوح جبال طانرى، والسهول الموجودة غرب حوض تاريم هى مراكز تربية الحيوانات لدى أتراك الأويغور الآن. والأمطار فى جونغاريا وخاصة فى النصف الغربى منتظمة وأكثر قليلاً بالنسبة للمناطق الأخرى المجاورة. وفى نفس الوقت فإن الارتفاع النسبى فى الرطوبة يُعد الأرض لتتقدم بنباتات الأستبس، وقد يعطى الفرصة لتكون المناطق العشبية الواسعة فى تلك النواحى. وكنتيجة لهذا أصبحت تربية الحيوانات فى جونغاريا واحدة من العناصر التى شكلت أساس الاقتصاد لأتراك الأويغور، وتفصل جبال طانرى التى تتم على سفوحها تربية الحيوانات على نطاق واسع بين منطقة تاريم التى كانت منطقة زراعية، وجونغاريا التى كانت ساحة لتربية الحيوانات عن بعضها.

وقد بُيِّن عدد الحيوانات الموجودة فى تركستان الشرقية فى سنة ١٩٤٤ فى الجدول التالى:

الماعز	١,٣٠٠,٠٠٠

الجمال	٥٠٠,٠٠٠

(مارتين .س. نوريتز سنكيانغ بوابة لآسيا، نيويورك، ص، ١١٠)

المواد المتحصلة من النتاج الحيواني:

مع أنه ليست بين أيدينا معلومات صريحة عن المواد المتحصلة من الانتاج الحيوانى فى عصر الصين الحمراء، إلا أن المواد المتحصلة من المنتجات الحيوانية فى السنة فى تركستان الشرقية حتى سنة ١٩٤٤ هى كما يلى:

حلود الشياه	١,٥٠٠,٠٠٠
فراء Ermin	١٠٠,٠٠٠
حلود الثيران	٦٠,٠٠٠
فراء الثعالب	٤٨,٦٠٠
حلود الخيول	٤٠,٠٠٠
فراء السنجاب	٥٠٠٠

(مارتين. س.نوريتز، سنكيانغ بوابة لآسيا، نيويورك، ص ١١٠.)

الصناعة:

كانت الصناعة فى تركستان الشرقية عبارة عن الفنون اليدوية أكثر

فمنذ القدم ينسجون الأقمشة الحريرية والقطنية، وكانت تصنع أشياء مثل السجاد أيضاً والأكِلمة (نوع من السجاد)، وكان يوجد فى تركستان الشرقية عدد ٣٠٢ ورشة وآتيليه ومصنع وisietme وكانت مصانع صغيرة متخصصة فى صناعة السجاد والجلود والحديد والنحاس.

وقد تأسست فى سنة ١٩٤٢ فى أورومجى مصانع للغزل والنسيج ومصانع للصابون ومصانع للمأكولات المحفوظة.

المعادن:

إن تركستان الشرقية بلد غنية بثرواتها- التى سواء كانت تحت الأرض أو فوق سطح الأرض -بدرجة لا تقبل المقارنة بالدول الأخرى. ومن المعتقد أن منطقة قره ماى واحدة من أهم مناطق البترول بالصين الحمراء، وطبقاً للاحصائيات التى تمت فى عام ١٩٦٤ فقد صُرح بأن احتياطى البترول بتركستان الشرقية يبلغ ١٦٠ مليون طناً، لدرجة أنه كان ينتج ٧٥ ألف برميل فى اليوم فى قره ماى، و ١,٠٣٦,٠٠٠ طن بترول سنوياً (نيوز ويك، ١٩٧٥/١٠/٢٧) وخلاف ذلك فقد اكتشفت آبار بترول غنية أيضاً بجوار منطقة تاريم وتورفان وقد هيمنت تركستان الشرقية على ٣٠٪ من ١٠,٧ مليون طن بترول المنتجة فى الصين فى عام ١٩٦٦.

ومن المعروف أن سفوح جبال الآلتاى وتيان شان وكنلون، وأورومجى وتورفان وقره شهر وكوجار وكاشغر وينكى حصار وحوجوك من مراكز

إنتاج الفحم فى تركستان الشرقية. وكان يُستخرج ١٠٠ ألف طن فحم سنوياً فى تركستان الشرقية. فى الأربعينات وإذا نظرنا لما نشرته إذاعة أورومجى فى سنة ١٩٥٩، فإن هناك ٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠ طن احتياطى من الفحم فى سفوح الجبال الموجودة فى جنوب مدينة أورومجى.

الحديد: يوجد فى القطاعات الجنوبية والشمالية من تركستان الشرقية، أما المناجم التى تقع فى جوجوك، فهى أغناها. وخلاف ذلك فهناك مناجم حديد غنية فى تورفان وأقصو وإيلى وينكى حصار.

الذهب: كانت تستخرج ٥٠ ألف أوقية من الذهب سنوياً فى نواحى الآلتاى وباركول وجرجن وإيلى وكِريّة وجوَجك وأوروديس خلال الأبحاث التى تمت فى تركستان الشرقية بين عامى ١٩٣٤-١٩٤٣.

النحاس: بالرغم من أن مقدار احتياطى النحاس فى تركستان الشرقية غير معروف، إلا أنه من المعروف أنه توجد مناجم غنية بجوار إيلى وكوجار وباي وأورومجى.

وبالإضافة إلى كل ذلك فقد صرّح العلماء الروس بين عامى ١٩٣٤، ١٩٤٣ أنه قد اكتشف اليورانيوم فى خمسة مواضع والتنجستين فى خمسة مواضع، والقصدير فى ثلاثة عشر موضعاً والزئبق فى موضعين والأمونيا فى ستة مواضع.

القسم السادس

عصر الصين الحمراء

قد يكون من المفيد أن نلقى نظرة على النظريات الماركسية اللينينية والستالينية فى قضية شعوب الأقليات حتى نفهم جيداً الإجراءات الصينية الشيوعية فى تركستان الشرقية. وليس هناك أى بحث قام به ماركس أو إنجيلز، أو أى مؤلف ألفه عن شعوب الأقليات، إلا إنهم فى الفترة التى ناقشوا فيها هذا الموضوع قد تناولوه فقط من الوجهتين السياسية والصحفية. أو أنهم تلقوه فى التاريخ على أنه قضية عديمة الأهمية ومن الدرجة الثانية. وإذا كان ينبغى التوضيح باختصار، فإن ماركس وإنجيلز قد لاحظوا أن قضية شعوب الأقليات كعنصر تكتيكى فقد أكثر من مجرد كونها مبدأ أساسياً للصراع الطبقى. وقد عضّد ماركس وإنجيلز طوال عمريهما صراع استقلال الدول ذات الأقليات ثلاث مرات فقط، وهى صراع شعوب الهند وإيرلندا وبولونيا من أجل الاستقلال. وعلى سبيل المثال يذكر ماركس مايكى معضداً صراع الاستقلال الذى قام به شعب إيرلندا عام ١٨٧٠ ضد الإنجليز «إنما حركة تجهز لثورة شيوعية فى دولة بريطانيا». (كان ماركس وفريدرك انجيلز سوشتيا، موسكو ١٩٣٦).

وقد عضّد بنفس الكلمات تقريباً، الصراع الذى قامت به الهند ضد الإنجليز، وعندما نأتى لسبب تعضيدهم بولونيا فقد كان هذا من أجل أن تأخذ روسيا القيصرية ريادة الانتشار فى أوروبا. فعندئذ فقد استنكروا رغبة الجيك والصرب فى الانفصال عن الامبراطورية النمساوية المجرية.

قد أعلنوا هذا قائلين إنها حركة مضادة (نفس المرجع ص ٢٥٩-٢٦٥)، وطبقاً لآرائهم، فإن الجيك والصرب أمم بلا تاريخ، ولذلك فإنهم يجب أن يعيشوا كمستعمرة نمساوية ومجرية. وذلك لأنه طبقاً لما يدعيه ماركس وانجيلز، فإن الأمم التى لا تستطيع أن تتقدم فى المجالات الاجتماعية والاقتصادية هى أمم بلا تاريخ .(نفس المرجع، ص ١٦١).

إننا يجب أن ندرس نظريات لينين عن قضية شعوب الأقليات على ثلاثة أقسام. فقد كان لينين متحيزاً لنظام الإدارة المتمركز طبقاً للنظام الاتحادى فى عصور ما قبل ثورة أكتوبر. وطبقاً لرأيه فإن تطور الرأسمالية فى نظام إدارى متمركز كان يتم سريعاً، وكان يعجل بثورة البروليتاريا هذه.

وخلاف ذلك كان لينين متحيزاً للثقافة العالمية بدلا من الثقافة القومية وكان مؤمناً بالسياسة التى انتهجها إنجلترا فى قضية السويد فى الفترة التى تمتد حتى ١٩١٧. وكان معارضا شديدا لفكرة قبول النظام

الفيدرالى فى حل مشاكل الأمم التى داخل الامبراطورية الروسية القيصرية. وعضَّد بكل صراحة نظام الدولة المكزية. وطبقاً لتعبيره هو فإن النظام المركزى كان يعمل على تقريب ثورة البروليتاريا مثلما كان سيعمل على تطور الرأسمالية لهذا السبب. ومن أجل هذا فقد فضَّل لينين أيضاً العالمية على الحضارة القومية، وكان معارضاً للحكم المدنى لشعوب الأقليات. وحرَّض بكل صراحة على توحيد شعوب الأقليات بالتعليم.

ولم يستطع لينين أن يتوقع أن مشاكل شعوب الأقليات فى روسيا ستكون مشكلة خطيرة حتى سنة ١٩١٧. ولم يستطع أن يفهم – فى نفس الوقت– أن شعوب الأقليات ستحاول أن تنفصل عن روسيا وتخرج منها. ولكن فى النهاية بعد أن رأت روسيا أن الذين أرادوا الانفصال عن الحكم الروسى كانوا كثيرين اضطرت أن تغير فى التكتيك. وعلى سبيل المثال فقد أسس الأوكرانيون حكومتهم بعد أن انهارت الحكومة القيصرية وطلبوا إعطائهم الحكم. وكان لينين يبدو كما لو كان سيعضد هذا الطلب فوراً، ولما جاء هذا الطلب من شعوب الأقليات الأخرى فى روسيا فقد نصح لينين الحزب الشيوعى بنشر البيان المشهور المتعلق بالاعتراف بحق شعوب الأقليات فى تقرير مصيرها، وسبب آخر لهذا هو أن الأحزاب الروسية البرجوازية وحكومة جمهورية كرنسكى كانتا معارضة لطلبات شعوب الأقليات هذه.

وبهذه التكتيكات يكون لينين قد جذب شعوب الأقليات إلى صفه من ناحية، ومن ناحية أخرى يكون قد حقق مساندتهم ضد حكومة

كرنسكى فى نفس الوقت، ولكن بعد أن أخذ لينين حكم روسيا فى يده بكل ما تحمله الكلمة من معنى فقد غير تكتيكه هذا، واتهم الذين أرادوا الانفصال عن روسيا بالعناصر البرجوازية الانفصالية. وهكذا فإنه دفع الجيش الأحمر لأن يهجم على أراضى الشعوب التى أعلنت استقلالهما وقررت مصيرها بنفسها. وكنتيجة لذلك اضطرت أوكرانيا التى أعلنت استقلالها بين عامى ١٩١٨-١٩٢٢، وقرغزستان وأرمينيا وتركستان الغربية تأسيس إتحاد فدرالى مع الاتحاد السوفيتى مرة أخرى.

وبعد أن احتل الجيش الأحمر بلدان شعوب الأقليات، ظهرت إلى الوجود مشكلة كيفية حل قضاياها داخل الدولة الشيوعية فقد ظهرت ثلاثة مجموعات منفصلة بين الشيوعيين فيما بين عامى ١٩١٩، ١٩٢٣ ظهروا آراءهم فى أسلوب حل هذه المشكلة، وكان ستالين يجذب ى إحدى هذه المجموعات الثلاثة. أما ستالين فقد ساند فكرة إعطاء شعوب الأقليات سلطة محدودة.

وليس هناك كتاب ألفه ماركس أو إنجيلز أو لينين أو ستالين أو زعماء صينيون شيوعيون آخرون بما فيهم ماوتسى تونج، ويتعلق بقضايا شعوب الأقليات فى الصين.

ووافق ماوتسى تونج على قرار يتعلق بإعطاء سلطة داخلية لشعوب الأقليات فى الصين، وذلك فى المجلس الثانى لشيوعى الصين فى شهر تموز ١٩٢٢ على أن تكون مرتبطة بالحكومة المركزية الصينية. أما فى الدستور

المؤقت لشيوعيي الصين الموافق عليه في مجلس العمال الصيني في سنة ١٩٣١ فتوجد هذه المادة.

«إن شعوب منغوليا والتبت وسنكيانغ (تركستان الشرقية) لها الحق في الانفصال عن دولة الصين إذا أرادوا، وتأسيس دول مستقلة لهم، أو أن يظلوا دولاً حاكمة مرتبطة باتحاد جمهورية الصين الشعبية».

وعبَّر ماوتسي تونج في المجالس الستة الموسعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في عام ١٩٣٨، بأن شعوب الأقليات في الصين هي شعوب متساوية مع الصينيين وأنها صاحبة حقوق، كما أن شعوب الأقليات ليست مجبرة على تعلم اللغة الصينية، وأنها حرة في الإبقاء على كتابتها ولغتها وثقافتها. (جن من جيه باو:١٩٥٢/٩/٩).

وقد انتقد ماوتسي تونج السياسة التي انتهجتها حكومة الصين القومية ضد شعوب الأقليات، وذلك خلال خطابه الذي ألقاه في المجالس الستة للشيوعيين الصينيين في سنة ١٩٤٥.

وإذا كان الشيوعيون سيأخذون الحكم في الصين، فقد بيَّن أنه سيُعطي لشعوب الأقليات حق تقرير المصير.

ومن الطبيعي أنه لم يكن هناك من يصدقون هذه الوعود المعسولة للصين الحمراء في تركستان الشرقية مثلما كان الوضع في الاتحاد السوفيتي. وإذا كان الشيوعيون سيأخذون السلطة في أيديهم، فإنهم كانوا يأملون أن

يأخذ شعب تركستان الشرقية حق تقرير مصيره بنفسه. وطبقاً لآرائهم، فإن الصين الحمراء على الأقل – كانت تستطيع أن تعطى السلطة بالمفهوم العام لشعب تركستان الشرقية، وكان يتزعم رئاسة المجموعة التى ترى هذا الرأى أحمد جان قاسمى، أما أحمد جان قاسمى فكان من زعماء العصيان الذى ظهر ضد حكومة فوجونج شى فى إيلى سنة ١٩٤٤. وإذا كان ثوار»إيلى» قد خلصوا ثلاثة ولايات بتركستان الشرقية من جنود الصين القومية فى وقت قصير (إيلى وآلتاي وتارابغتاى)، وأعلنوا جمهورية التركستان الشرقية المستقلة الثانية فى إيلى فى ٧ أكتوبر ١٩٤٤، إلا أنه تحت تضييق الاتحاد السوفيتى، فقد اضطر ثوار إيلى لإبرام الصلح مع الصين القومية.

أما أحمد جان قاسمى فقد رأس الوفد الذى اشترك فى مباحثات الصلح باسم ثوار إيلى، وبناءًا على الاتفاقية الموقعة من كلا الطرفين بعد المباحثات فقد تأسست حكومة ائتلافية، وعُيِّن أحمد جان قاسمى معاوناً للوالى العام فى الحكومة المؤسسة تحت رئاسة الجنرال جانج جى جونج.

وحينما بدأت وحدات الصين الحمراء تغزو تركستان الشرقية؛وبتاريخ ١٩٤٩/٨/١٥، تحركت هيئة تحت رئاسة أحمد جان قاسمى إلى بكين من أجل الاشتراك فى اجتماع مجلس للمشورة الشعبية فى الصين. ولكن تعرضت الطائرة التى كانت تقل الهيئة التى يترأسها أحمد جان قاسمى إلى بكين لحادث[1]. وخلاف سيف الدين عزيزى الذى أصبح الوالى

[1] انكشفت سر مقتل هؤلاء القادة بعدما تفكك الاتحاد السوفيتى فى عام 1991 باعتراف أعضاء تركية فى

العام للتركستان الشرقية اليوم، فإن جميع الزعماء الآخرين الذين كانوا فى الطائرة قد ماتوا. وهكذا فإن قضية زعماء ثورة إيلى — نتيجة لحادث الطائرة الذى لم يمكن تفسيره حتى اليوم، لم تحل. وفى نفس الوقت، فإنه مثلما ذكرنا من قبل، فإن برهان شهيدى الذى عُيِّن كوال عام للتركستان الشرقية فى عهد الصين القومية قد أرسل برقية إلى الصين، وأعلن الاستسلام.

ولكن بمجرد أن امتلك الشيوعيون الحكم فى أيديهم فى الصين فى عام ١٩٤٩ أصدروا البيان التالي:

إن مساعدة الأقليات القومية من الجهود التى نقوم بها من أجل التخلص من الظلم والاحتلال ليس شأننا. ولكن شأننا هو مساعدتهم على اللحاق بالمساواة القومية التامة، ووصولهم إلى المستوى الديمقراطى الجديد وامتلاكهم للتحديدات فى حياتهم المادية والثقافية.

نعم، إن الصين الشيوعية لم تكتف فقط بالإنكار الكامل للوعود التى أعطوها من قَبل لشعوب الأقليات فى الصين مثل «الانفصال عن الصين كما يريدون» و»تقرير مصيرهم بأنفسهم»، بل إنها فى نفس الوقت كانت تعلن أنها لن تساعدهم فى جهودهم التى يقومون بها من

للمخابرات الروسية kkb سابقا، حيث أن الاستخبارات الروسية اختطفتهم بطائرتهم من تركستان الشرقية وسجنتهم فى منطقة قازاقستان التابعة للروس فى ذلك الوقت، وحاولوا إرجاعهم عن فكرة استقلال تركستان الشرقية عن احتلال الصين. ولكن القادة لم يستسلموا لضغط الروس. وبعد ستة أشهر قتلهم الاستخبارات الروسية. وحادثة الطائرة المحطمة مزيفة ومدبرة من الروس والصين.

أجل التخلص من الظلم والسيطرة.

وسيلاحظ فى المباحث التالية كيف تحقق هذا.

تاسيس مناطق الحكم الذاتى

بعد أن سحقت الصين الحمراء كل القوى التى كانت ضدها فى تركستان الشرقية، فهمت أنه قد جاء أوان القيام بالإصلاح الحكومى فى تركستان الشرقية، وبدأت فى اتخاذ الإجراءات اللازمة. وتم تنظيم اجتماع فى بكين لدراسة النشاطات السنوية التى كانت تتم فى دول شعوب الأقليات القومية، وذلك فى العيد السنوى لتأسيس جمهورية الصين الشعبية فى ١٩٥٠/١٠/١ وقد اشتركت تركستان والتبت ووفود من وسط منغوليا فى هذا الاجتماع الذى نظمته اللجنة المكلفة برعاية أمور الأقليات القومية فى الصين الحمراء. وقد سألهم لى وى هن رئيس هذه اللجنة التى قابلت الوفود التركية الإسلامية التى جاءت من التركستان الشرقية عن آرائهم فى شكل مناطق الحكم الذاتى المقرر إقامتها فى تركستان الشرقية. (لواء الشيوعية: ١٩٧٤/٣/١٩) وقد طلبت الوفود التركية الإسلامية التركستانية الشرقية فى وقت واحد رفع كلمة (المستعمرة الجديدة) سنكيانغ الذى أطلقه المستعمرون المانجو صينيون على تركستان الشرقية، وإطلاق اسم تركستان الشرقية بدلاً منه

أو جمهورية حلف أويغورستان.(لواء الشيوعية: ١٩٧٤/٣/١٩)، وكانت وفود تركستان الشرقية محقة فى طلباتهم هذه، لأن تركستان الشرقية – مثلما ذكرنا من قبل – كانت الوطن الأم لأتراك الأويغور. أما هذه الأمة التى كانت الوطن الأم لأتراك الأويغور فكان من الطبيعى جداً أن تسمى بأويغورستان. وخلاف ذلك فقد أعلنت الصين الحمراء نفسها حامية الشعوب المقهورة وأنها كانت ضد الإستعمار. وكان من الطبيعى لأمة ضد الإستعمار أن تزيل كلمة سنكيانغ أو شنجيانغ (المستعمرة الجديدة) التى أطلقها المستعمرون على تركستان الشرقية.

ويجب علينا هنا أن نضيف هذه النقطة، إنه إذا كان التزييف ذكاءً فإن الاتحاد السوفيتى قد أسس جمهوريات بإسم الشعوب التى عاشت فى هذه المناطق وشكلت الشعوب التركية الإسلامية غالبيتها -جمهورية أوزبكستان، جمهورية تركمستان، وجمهورية قيرغيزستان، وجمهورية قازاقستان. وعلى سبيل المثال فإنه طبقاً لتعداد السكان الذى أعلنه الاتحاد السوفيتى فى سنة ١٩٧٠ فقد كان يعيش فى جمهورية قازاقستان ٤,١٦١ مليون قازاقى و٥,٥٠٠,٠٠٠ مليون روسى و٩٣٠ ألف أوكرانى، و٢٨٤ ألف تاتارى، و٢٠٨ ألف أوزبكى، و١٩٨ ألف روسى أبيض، و١٢١ ألف أويغورى و٩٨ ألف كورى. وبالرغم من ذلك فإنه نظراً لأنها كانت المنطقة التى كان يعيش فيها أتراك القازاق، فقد تأسست جمهورية قازاخستان هناك، ولكن عارض كل زعماء الصين الحمراء الأخرون، وعلى رأسهم لى وى هن ، طلب الوفد التركستانى

الشرقى هذا بكل شدة والذى يتعلق بتأسيس مناطق للحكم الذاتى فى تركستان الشرقية فى المجلس الثانى الموسَّع للجنة المكلفة بالإعلان عن أمور الأقليات القومية فى الصين الحمراء. وقد قدمت لمجلس الحكومة المركزية للصين الحمراء من أجل التصديق عليه. وقد وافق مجلس الحكومة التركستانية على مسودة هذا القرار فى ١٩٥٢/٨/٨، ووضعته موضع التنفيذ. وطبقاً لهذا القرار فقد اقترح تأسيس ثلاثة أنواع من مناطق الحكم الذاتى فى تركستان الشرقية:

أ- إذا كانت قبيلة واحدة تعيش فى منطقة ما وتشكل الأكثرية، فإنه تؤسس لهم منطقة حكم ذاتى خاصة.

ب- إذا كانت القبيلة التى معظمها فى منطقة تعيش مع قبائل أخرى ظلت فى حالة أقلية، فإنه تؤسس مناطق حكم ذاتى سواء للقبيلة اللتى تمثل الأكثرية، وفى نفس الوقت للقبائل الأخرى التى ظلت فى حالة أقلية.

ج- إذا كانت مجموعة من القبائل المتساوية فى العدد مع بعضها تعيش فى منطقة ما تؤسس لها مناطق سياسية منفصلة. ولكن يكون لها جميعاً حكومة ائتلاف مشتركة.

ولم يكن من الممكن تأسيس منطقة حكم ذاتى منفصل للصينيين فى تركستان الشرقية، فمن الطبيعى أن هذا الوضع كان يعطى للصينيين فى تركستان الشرقية الحق فى الذهاب إلى المكان الذين يريدونه وقتما

يريدون وكذلك حق التوطن والعيش.

وطبقا للقرار المذكور آنفاً فإن مناطق الحكم الذاتى المقترح تأسيسها فى تركستان الشرقية كانت ستعد جزءاً لا يتجزأ من جمهورية الصين الشعبية. وخلاف ذلك فإن الأجزاء الإدارية التى ستشكل فى مناطق الحكم الذاتى هذه كانت سترتبط بالحكومة المركزية لجمهورية الصين الشعبية أيضاً. ومرة أخرى فإنه طبقاً للقرار السالف، فإن مناطق الحكم الذاتى القومية التى ستؤسس فى تركستان الشرقية، كان يمكنها أن تؤسس أجزاء إدارية خاصة بها، وكان يمكنها أن تفتتح مدارس تقوم بتدريس لغاتها ولهجاتها، وخلاف ذلك فإن كل منطقة حكم ذاتى كان يمكنها أن تصدر قوانينها الخاصة، ولكن هذا القانون الذى سيوافق عليه، كان سيخضع لتعديل الحكومة المركزية بالصين الحمراء قبل وضعه موضع التنفيذ.

وفى النهاية، بعد الموافقة على هذا القرار من قبل الحكومة المركزية الصينية الحمراء، تم تأسيس لجنة من أجل إمكان القيام بالإجراءات اللازمة بخصوص تأسيس مناطق الحكم الذاتى اعتبارا من سبتمبر ١٩٥٢ بتركستان الشرقية. وكان يترأس هذه اللجنة برهان شهيدى الوالى العام للتركستان الشرقية وصينى يدعى كاو حتى جونج وسيف الدين عزيزى الكاتب الثانى لمكتب مستقبل(شؤون) تركستان الشرقية بالحزب الشيوعى الصينى. وكانت هذه اللجنة – بعد الجهود المبذولة – كانت قد ساعدت على تأسيس خمس ولايات مناطق للحكم الذاتى، وست مناطق للحكم الذاتى للنواحى، حتى سنة ١٩٥٤. وبعد تأسيس مناطق

الحكم الذاتى بتركستان الشرقية، شُكلت لجنة خاصة أخرى بتاريخ فبراير ١٩٥٥ وبدئ فى إجراءات تتعلق بالأسماء التى ستطلق على تركستان الشرقية كلها، وبعد المباحثات والجهود الطويلة المبذولة قررت الصين الحمراء إطلاق إسم منطقة سنكيانغ (شنجيانغ) ذات الحكم الذاتي. وقد قدِّم هذا التكليف بتاريخ ١٩٥٥/٩/١٢ لإعتماد اللجنة الدائمة للمجلس القومى بجمهورية الصين الشعبية ومجلس الدولة بجمهورية الصين الشعبية أيضاً وبعد أن اعتمد هذا القرار، أطلق على تركستان الشرقية كلها بـ« منطقة شنجيانغ الأويغورية ذاتية الحكم» اعتبارا من تاريخ ١٩٥٥/١٠/١، وبعد أن استولى الشيوعيون على الحكم فى الصين تماما ذكروا أن لغة كتابة شعوب الأقليات فى الصين لم تكن كافية لدراسة السياسات المختلفة للحزب والحكومة ولاستيعاب أساليب التصنيع.

وحرضوا على سياسة تحريف لغتهم. وطبقاً لادعاءاتهم فإن صعوبات كهذه من شأنها أن تؤخر تعلم الأقليات القومية من الناحية الفكرية. ومن أجل هذا فقد غيرت الصين الحمراء أيضاً لغة الكتابة التى كان يستخدمها شعب تركستان الشرقية منذ ألف عام، وبدأت فى الإجراءات اللازمة من أجل إمكانية إيجاد لغة كتابة جديدة. ومن الطبيعى أن الهدف الرئيسى للصين الحمراء كان هو اقتلاع كل الروابط التى كانت لشعب تركستان الشرقية وثقافاتهم الماضية. والنتيجة أنه فى يناير ١٩٥٦ استحدث معهد لغات شعوب الأقليات القومية على أن يكون مرتبطاً بأكاديمية العلوم الصينية، وعُيِّن برهان شهيدى الوالى العام للتركستان

الشرقية رئيساً له. وكان هدف المعهد حتى سنة ١٩٦٠، استحداث لغة كتابة لشعوب الأقليات القومية فى الصين. وقد دُعى عالم لغة روسى يسمى سبرديو شنكو إلى هذا المعهد كمستشار.

وقد جاءت إلى تركستان الشرقية بعثة من أكاديمية العلوم الصينية فى سنة ١٩٥٥، وبعد أن قامت بدراسات حول اللهجة الأويغورية.

صرحت بأنها لغة صعبة جداً، وهكذا فقد جاءت مجموعة من علماء اللغة إلى تركستان الشرقية من الصين المركزية فيما بعد هذا التاريخ. وقامت بالأبحاث الضرورية، وكان شيبرديوشنكو عالم اللغويات المدعو من الاتحاد السوفيتى كمستشار، كان يضغط من أجل تطبيق أبجدية cirilik الروسية على قبائل الأتراك فى تركستان الشرقية. وفى النهاية فقد اجتمعت لجنة لاتخاذ قرار باستحداث أبجدية جديدة من أجل الرعايا الأتراك فى تركستان الشرقية فى أوروبجى بين تاريخى ١٥، ٢٢ أغسطس ١٩٥٦. وبعد مباحثات طويلة ووفق على تطبيق الأبجدية الكيرلية الروسية من أجل الأويغور والقازاق والشيبوه.

ولكن مهما يكن من شئ، فإنه بالرغم من موافقة الصين الحمراء على أن يكون الأبجدية الكيرلية هى لغة الكتابة الرسمية لشعب تركستان الشرقية، فإنها قد امتنعت عن إظهار محاولاتها الضرورية من أجل تحقيق هذا، وعلى الوجه الأرجح فإن الصين الحمراء لم ترد أن تكون هناك لغة كتابة مشتركة بين الرعايا الأتراك فى تركستان الشرقية والرعايا الأتراك

فى الاتحاد السوفيتى. وذلك لأن الرعايا الأتراك فى الاتحاد السوفيتى إذا لم يتبعوا اللغة التركية، فإنهم يستخدمون أبجدية الكيرلية. والنتيجة أنه فى يناير ١٩٥٩ اجتمع المجمع اللغوى فى أورومجى للمرة الثانية وقرر استحداث لغة كتابة لاتينية تتفق وصوتيات اللغة الصينية، بدلا من الأبجدية العربية التى كان يستخدمها الرعايا الأتراك فى تركستان الشرقية منذ ألف عام. (سيكينانج جه باو ١٧ ديسمبر ١٩٥٩).

وتذكر الجريدة المسماة سنكيانغ جه باو ما يلى، فى مقالة نشرتها فى نفس التاريخ: «نظراً لأن أمور شعوب الأقليات القومية فى الصين، وهى جزء من الشيوعية، فيجب أن يكون كل إجراء سيتخذ متوافقا مع الشيوعية. ولا يكفى لشعوب الأقليات القومية أن تحقق شيوعية لغة كتابة وثورة ثقافية. ومن أجل هذا كان من الضرورى تغيير لغة كتابة الأقليات القومية فى الصين بلغة كتابة مطابقة للصوتيات الصينية.

ونظراً لأن الصين الحمراء كانت تعرف أن شعب تركستان الشرقية سيواجه هذا القرار برد فعل شديد، فلم تنسى أن تهددهم قبل ذلك، ونشر هذا البيان:

«إن عدم قبول الخطة المطابقة لصوتيات اللغة الصينية سيؤخذ على أنه تمرد ضد تحول أهالى سنكيانغ إلى الشيوعية والإشتراكية. (سنكيانغ جه باو ٨ ديسمبر ١٩٥٩)

وبهذه العبارة تعلن الصين الحمراء أن الذين يخرجون ضد هذه الخطة

سيعاقبون بشدة.

وهكذا اضطر الرعايا الأتراك فى تركستان الشرقية بعد دراسات طويلة – إلى أن يتحولوا إلى الأبجدية اللاتينية التى كانت قد أُعدَّت بطريقة مطابقة لصوتيات اللغة الصينية اعتبارا من أول أغسطس ١٩٦٦.

السياسة الثقافية

كان ينبغى إعداد كوادر للأقليات القومية من أجل إمكانية تحقيق الإصلاحات الإدارية والاجتماعية والاقتصادية فى تركستان الشرقية ومن أجل هذا، فقد وافقت الصين الحمراء على قرار بخصوص الاعتراف أولاً بمسألة إعداد كادر من الأقليات القومية بتاريخ ١٩٥٨/٩/٢٨ وقد افتتحت مدرستان للحِرف فى تركستان الشرقية كتطبيق لهذا القرار. وقد تخرج من هذه المدارس عشرة آلاف طالب بين عامى ١٩٥٥،١٩٥٢. وخلاف ذلك فقد افتتحت دورات حرفية فى المدن والقرى أيضاً. وقد أنهى ستة وثلاثون ألف شخص من السكان المحليين للتركستان الشرقية تعليمهم فى المدارس الحرفية هذه حتى سبتمبر١٩٥٥، وعينوا فى وظائف.

أما فى سنة ١٩٥٦ فقد وصل هذا العدد إلى ٦١,٧٧٢، أما فى سنة ١٩٦٥ فقد ارتفع هذا العدد إلى ١٠٦,٠٠٠، وإذا كنا سنأخذ الأخبار التى أمدتنا بها وكالة أخبار شينج بعين الاعتبار، فقد سجّل عدد كوادر

الدولة المنتسبة لشعوب الأقليات، ارتفاع ٢٤٪ بالنسبة لسنة ١٩٦٥.

وطبقاً للقرار الموافق عليه من ذى قبل، وطبقاً لاستحداث مدارس بلغة ولهجات قومية فى تركستان الشرقية، فقد كان يقترح تعلمها، وقد وُضع هذا البرنامج موضع التنفيذ اعتبارا من سنة ١٩٥٢ فى تركستان الشرقية.

وقد افتتحت فى تركستان الشرقية، بعد سنة ١٩٤٩ ثمانية مدارس عليا و٦٢٨ مدرسة إعدادية و١٣,٩٥٢ مدرسة إبتدائية.

وقد افتتحت جامعة، وبالإضافة إلى ذلك خمسون مدرسة فنية، و٤٦ مدرسة حرفية تدعى «٧ مايو». وطبقاً لما أعلنته إذاعة بكين، فإن عدد الطلاب الذين يدرسون فى المدارس الحرفية التى تسمى ٧ مايو ٤٣٠٠ طالب.

ويشكل أطفال السكان المحليين نصفهم. ولقد صرحت مصادر الصين الحمراء أن ١٢٤٠ طالباً يدرسون فى جامعة تركستان الشرقية فى سنة ١٩٥٦. وطبقاً للمعلومات المستمدة فى سنة ١٩٦٣ فإن عدد الطلاب الذين يدرسون فى المدارس العليا فى تركستان الشرقية يبلغ ٢١٠ ألف طالب.

وقد صرح ماوتسى تونج بأنه إذا أمسك الشيوعيون بالسلطة فى أيديهم بالصين، فإنهم لن يجبروا الأقليات القومية على تعلم اللغة الصينية، وذلك فى المجالس الستة الموسعة للجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى فى سنة ١٩٣٨. والحقيقة أنه حتى سنة ١٩٦٦ فقد أُجرى التعليم فى

تركستان الشرقية فيما بين أتراك الأويغور باللهجة الأويغورية، ولكن بعد الثورة الثقافية فقد أعلنت الصين الحمراء أن هذه الحركة قد أدت إلى تقوية التيار القومى بين الأقليات القومية. وقامت بتصيين التعليم تماماً فى المدارس الإبتدائية والإعدادية والعليا، واليوم لا توجد مدرسة واحدة تقوم بالتدريس فقط باللهجات التركية بتركستان الشرقية. وبالرغم من ذلك، فقد أصبحت نسبة القراءة والكتابة بين أتراك الأويغور اليوم تسعين فى المائة.

وقد ركز الشيوعيون على طبع كتب دعاية بأعداد كبيرة من أجل تعليم الأقليات القومية بأفكار الماركسية واللينينيه بعد أن أمسكوا بزمام السلطة فى الصين. وبلغ عدد الكتب المنشورة على هذه الشاكلة فى تركستان الشرقية ٢٥٠ ألف كتاب فى سنة ١٩٥٢. وخلاف هذا فقد طُبع فى الاتحاد السوفيتى ٥٠٠ ألف كتاب مخصصة فقط لسنة ١٩٥٦.

وفى مقابل ذلك فقد ألغيت كل الكتب ذات الموضوعات التاريخية والأدبية والدينية الموجودة فى تركستان الشرقية، اعتبارا من مايو ١٩٦٦. ولقد قام محمد أمين رئيس جامعة تركستان الشرقية بجمع الأدب الشفوى القديم والحديث الذى يخص أتراك الأويغور فى ثلاثة عشر مجلداً وملَّكها للشعب. وقد أمرت الصين الحمراء بحرق هذا المؤلف القيم الذى جُمع بعد سنين طويلة جداً، وذلك خلال الثورة الثقافية، وخلاف ذلك فقد حُفظت المخطوطات القيمة جداً، والتى تخص أتراك الأويغور فى المكتبة القومية فى أورومچى قبل عام ١٩٤٩ حُفظت وأُمِّنت من الدول الخارجية بمساعى مسعود صبرى بايقوزى ومحمد أمين بوغرا، وعيسى يوسف

آلب تكين. وخلال تلك الفترة فقد دُمِّرت مئات الكتب التى تتعلق بالموضوعات القومية والدينية المجلوبة من أجل استفادة الشعب. وطبقاً لما ذكره تركى أويغورى يدعى يوسف خان الذى اضطر إلى اللجوء إلى الاتحاد السوفيتى لأنه لم يستطع أن يتحمل الظلم والعذاب فى تركستان الشرقية فى عهد قريب، فى مقالة منشورة فى جريدة «قازاقستان الاشتراكية» فإن الصين الحمراء قد دمَّرت تماماً أربعين شاحنة كتب فى موضوعات قومية ودينية فى تركستان الشرقية فى ذلك العهد.

الصحافة والنشر فى تركستان الشرقية

صدرت فى تركستان الشرقية جريدة اسمها سنكيانغ، ويتم نشر هذه الجريدة باللهجة الأويغورية فى ثمانية أماكن فى تركستان الشرقية، وباللهجة القازاقية فى أربعة أماكن، وباللغة الصينية فى مكانين، وباللغة المغولية فى مكان واحد. وخلاف ذلك، تصدر فى تركستان الشرقية سبعة مجلات.

١- الأويغور، ٢- شباب سنكيانغ، ٣- آلغا، ٤- جورانلى سنكيانغ المصورة، ٥-الأدب فى سنكيانغ، ٦- أصول التربية فى سنكيانغ، ٧- الزراعة.

وخلال ذلك، فإنه تنشر فى بكين مجلة ذات حجم كبير مطبوعة طباعة جميلة ونظيفة تسمى (الشعب) وتطبع بعدة لغات، ونسخة منها

باللهجة الأويغورية.

ومع الأسف فإنه ليست بين أيدينا معلومات كافية عن دورة الجرائد والمجلات التي تصدر في تركستان الشرقية.

الإذاعة:

لم تكن في تركستان الشرقية محطة إذاعة حتى سنة ١٩٤٧، وقد تأسس أول إذاعة بفضل مساعي مسعود صبرى بايقوزى و محمد أمين بوغرا وعيسى يوسف آلبتكين. واعتبارا من هذا التاريخ بدأ شعب تركستان الشرقية يشعر بالأحداث التي في وطنه وفي العالم، وعُينت السيدة (رسالة) التي كانت محررة من إذاعة نشريات الآلتاى التي أسسها عيسى يوسف آلبتكين بك، كمذيعة في إذاعة أورومجى لأول مرة، تلبية لرغبة عيسى يوسف آلبتكين وأسمعت صوتها للعالم. ومن المعروف أن السيدة رسالة ظلت معنية في إذاعة أورومجى حتى سنة ١٩٥٥.

وقد أعطت الصين الحمراء أهمية كبيرة للنشريات الإذاعية بعد أن ظهر الكتاب الأحمر لماوتسى تونج، لدرجة أن الشعب قد اشترى أجهزة راديو ذات الموجة القصيرة بأسعار رخيصة جداً حتى يتمكنوا من تتبع نشريات إذاعة أورومجى وبكين. وكانت هذه الأجهزة تباع بحوالى ١٤ — ١٢٥ يوان.

وخلاف ذلك فقد أسست حكومة الصين الحمراء جهازاً ذا قناة

واحدة للمراكز والقرى مثل مثيلاتها المؤسسة من قبل البلد فى الأناضول ، وحتى سنة ١٩٦٥ كان يوجد ٥١ ألف بجهار التى أسست على هذه الشاكلة فى تركستان الشرقية، وقد وصل هذا الرقم إلى ٨١٩ ألف حتى سنة ١٩٧٦.

الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية

لقد شجعت الصين الحمراء أيضاً الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية جنباً إلى جنب مع الاصلاحات الإدارية فى تركستان الشرقية، ولقد تم تشجيع الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية فى دول الأقليات القومية على مرحلتين:

(أ) الإصلاح الديمقراطى:

كان هدف حركة الإصلاح هذه والتى تم تنفيذها تحت اسم الإصلاح الديمقراطى، هو تحقيق إصلاح الأراضى، وإنهاء الظلم والاستبداد.

(ب) الإصلاح الاجتماعى:

كان هدف هذا الإصلاح هو إنهاء الملكية الخاصة، وتحقيق نظام الملكية الاجتماعية (الاشتراكية) الجماعية وتمليكها كلها للشعب.

(ج) الإصلاح الزراعي:

لقد أجازت الصين الحمراء تنفيذ نظام الضريبة «المرجّحة» فى تركستان الشرقية قبل وضع الاصلاحات التى عددناها آنفاً موضع التنفيذ، وكان الهدف هو تقسيم سكان تركستان الشرقية الأتراك المسلمين إلى أقسام مثل الغنى والفقير، وأصحاب الأرض والذين بلا أرض، والبرجوازيين والبروليتاريا، واستعدائهم ضد بعضهم البعض، والقضاء على إحساسهم القومى ووحدتهم وتضامنهم. ولقد أعطت الصين الحمراء مهمة جمع الضرائب خاصة للسكان الفقراء وللطبقة الوسطى حتى يجيزوا تنفيذ نظام الضريبة المرجحة، وكأن الغزاة الذين جاءوا من الخارج واستعمروا شعب تركستان الشرقية منذ قرنين، حتى رقابهم، لم يكونوا هم المانجو صينيين أو الصين القومية أو الصين الشيوعية، بل كانوا هم السكان المحليين أنفسهم.

وبالرغم من الأراضى الواسعة فى تركستان الشرقية (١،٨٢٨،٤١٨ كم مربع) فقد كان تعداد سكانها طبقاً للرقم الذى صرحت به الصين الحمراء فى سنة ١٩٥٠، خمسة ملايين نسمة، وكانت نسبة الشيوعيين قليلة ١٩٤٤/٣/٢١ وكانت أفقر العائلات التركستانية الشرقية تملك أرضا تقدر بحوالى خمسة أو عشرة هكتارات. وكانت هذه تكفى إحتياجاتهم وإعاشتهم وبالرغم من ذلك كانت الصين الحمراء تهجم على مُلاك الأراضى، والتى كانت قد سمّت سكانها الذين بلا أرض. وتخلت الصين الحمراء عن اغتصاب أراضى تركستان الشرقية بالذات.

وكانت تعرف أن هذا سوف يفتح الطريق أمام رد فعل شعب تركستان الشرقية: فقراء وطبقة وسطى وأغنياء. ذلك لأن شعب تركستان الشرقية كان يتحد دائماً ضد القوات الغازية التى جاءت من الخارج. ورأت أنه من المناسب أكثر لسياستها أن تستعدى السكان المحليين ضد بعضهم لأن هدفها كان ضرب هذا التضامن الذى بين شعب تركستان الشرقية، كما أوضحنا من قبل. وكنتيجة لهذه الحركة التى كانت الصين الحمراء قد بدأتها تحت قناع إصلاح الأرض بتاريخ ١٩٥١/٦/٣١، فقد تم تأميم كل هذه الأراضى فى البداية. ولكنها فى النهاية بدأت توزعها، وقد قامت الصين الحمراء بتوزيع الأراضى على هذا النحو:

أ- أراضى الطبقة الأولى: وقد خصصت لجيش التحرير الشعبى الصينى.

ب- أراضى الطبقة الثانية: وقد خصصت للمهاجرين المجلوبين من الصين الحمراء.

ج- أراضى الطبقة الثالثة: وقد وزعت على شعب تركستان الشرقية.

ولكن الصين الحمراء بدأت العمل اعتبارا من سنة ١٩٥٨ على أن تقوم بتوحيد أراضى الطبقة الثالثة الموزعة على شعب تركستان الشرقية فى صورة تعاونيات تحت ستار إصلاح الأراضى. وفقد السكان الذين وصلوا إلى وضع الموظفين فى التعاونيات، ملكية بيوتهم وحدائقهم ومزارعهم إثر ذلك. وفيما بعد، تحول السكان إلى المستعمرات الشيوعية، وكثر سكان تركستان الشرقية الذين أصبحوا ضد هذه المستعمرات، وبدأوا الهجوم

على المدن، ولجأت الصين الحمراء هذه المرة إلى الشدة، واجتهدت لمنع هجوم السكان على المدن ومنع تركهم للمعسكرات بالقوة، واتهمت قرويا وعمال التركستان الشرقية الذين لم يريدوا العمل فى المعسكرات بأنهم عناصر مضاد للثورة وخُدّام الرأسماليين.

وعُمِل على تطوير الزراعة التى كان نصيبها ٢,٧٦٣,٠٠٠ هكتار فى تركستان الشرقية حتى سنة ١٩٦٥. وقد طُورت هذه المجهودات بعد سنة ١٩٦٦ أى بعد الثورة الثقافية. وقد تم تحقيق ٢٠٠٠ مشروع نتيجة المجهودات المتواصلة التى بذلت باشتراك ١,٥ مليون فرد فى تركستان الشرقية بدءاً من شهور الشتاء سنة ١٩٧٥، وذلك طبقاً للمعلومات المستمرة من المصادر الشيوعية الصينية. وقد استصلحت مائتا ألف هكتار. وخلاف ذلك فقد استصلحت ستة وستون ألف هكتار من الأرض فى تكلامكان التى من المتفق أنها كانت واحدة من أخطر الصحراوات فى العالم. وحوّلت مساحة ٢٠٠٠ كيلو متر مربع – خلاف ذلك – من صحراء تاكلامكان إلى واحات كاملة. وقد حفرت القنوات بطول ٧٨٠ كيلو متراً لمد هذه الواحات بالماء. وكان مقدار الحبوب المتحصلة فى سنة ١٩٧٥ فى تكلامكان التى استصلحت للزراعة ٤٤٧,٥٥ كيلو جراماً، وطبقاً لما صرحت به المصادر الصينية، فقد زادت الحبوب المتحصلة فى سنة ١٩٧٣ فى تركستان الشرقية، وأظهرت ارتفاعاً بنسبة ٣,٥ بالمقارنة بعهد ما بعد سنة ١٩٦٥.

ومن الممكن – اليوم – رى تسعين فى المائة من المساحات الزراعية

فى تركستان، ذلك أنه قد تم حفر ٢٠٠٠ خزان للمياه، و٨٠٠ بئر فى تركستان الشرقية قد تمت مكينتها، وأن باقيها سيتم مكينته ايضاً حتى سنة ١٩٨٠.

القطن:

تشكل النباتات الصناعية واحداً من أهم العناصر فى الحياة الاقتصادية لأتراك الأويغور، ويزرع القطن بصورة أكثر فى تركستان الشرقية، فى حوض جونغاريا ومنخفضات طورفان وكاشغر، وطبقاً لما كان مسجلا حتى سنة ١٩٤٤، فقد كان القطن يزرع فى مساحة تقدر بـ ١٦٢,٠٠٠ هكتار فى تركستان الشرقية، أما الآن فإن القطن لا يزال يزرع فقط فى مساحة تقدر بـ ٥٢٨,٠٠٠ هكتار فى منطقة كاشغر فقط. ولا يزال يزرع ثلث القطن اليوم فى هذه المنطقة فى تركستان الشرقية كلها.

تربية الحيوانات:

لقد سلكت الصين الحمراء طريقاً مختلفاً تماماً عن السياسة التى طبقتها تحت مسمى «سياسة الضريبة المرجحة وإصلاح الأراضى»، وذلك فى مجال تربية الحيوانات فى تركستان الشرقية، وقامت بحماية أصحاب الحيوانات حينما أوعزت إلى الفقراء وأفراد الطبقة الوسطى بالهجوم على الأغنياء وأصحاب الأراضى فى قضية الضريبة المرجحة وإصلاح الأراضى، وذلك فيما يخص تربية الحيوانات. ومن الطبيعى أن لهذا عدة أسباب، أولها أن الصينيين لم يكونوا يفهمون كثيراً فى تربية

الحيوانات، ولهذا فقد استخدمت الصين الأسلوب التى طبقته من أجل إصلاح الأراضى، واغتصبت الأراضى من السكان المحليين، ولم تكن ترى فائدة من إعطائها للصينين. وثانيها أنها كانت تريد تطوير تربية الحيوانات عن طريق ترك الحيوانات فى أيدى سكان تركستان الشرقية. وثالثها، أن هذه الحيوانات إذا كانت ستغتصب، فإن سكان تركستان الشرقية ربما كانوا يمتنعون عن إعطائها للصينيين؛ ورابعهما أن الصين الحمراء كانت تشترى مستلزماتها من أجل التصنيع من الخارج، وفى مقابل هذا فقد كانت تفكر فى تربية الحيوانات. وهكذا، ومن أجل هذا فقد اختارت الصين الحمراء طريق اغتصاب الحيوانات التى كان يمتلكها سكان تركستان الصينية ببطء بشرائها عن طريق الجمعيات التى أقحمت على مناطق الشعب بسعر ثابت.

وليس من المعروف اليوم عدد الحيوانات الموجودة فى تركستان الشرقية، ولكننا إذا كنا سنضع الأنباء التى صرحت بها إذاعة بكين فى ١٠/١٠/١٩٧٦، فقد أضيفت أيضاً سبعة ملايين رأس شاه إلى عدد الحيوانات الموجودة فى تركستان الشرقية فى النصف الأول من سنة ١٩٧٦، وولدت ١٢٠ ألف مهر، طبقاً للمعلومات المستمدة، وتم تأمين ٩٩٪ من الحيوانات المولودة فى تركستان الشرقية اليوم حتى تظل على قيد الحياة.

الصناعة:

كانت الصين الحمراء تريد إظهار الاهتمام بمجال الصناعة مثلما

أظهرته فى تأسيس مناطق الحكم الذاتى، وفى تحقيق إصلاح الأراضى، كما كانت تريد أن تضع هذا موضع التنفيذ تحت ستار توصيل شعوب الأقليات القومية المتخلفة إلى مستوى الأمم المعاصرة. وأعلن الشيوعيون بعد استيلائهم على السلطة فى الصين، أن سكان تركستان الشرقية كانوا شعباً متخلفاً، والحقيقة أنه كان فى هذا نصيب من الصحة. فقد أهملت تركستان الشرقية تماماً فى العهد المانجو صينى وعهد الصين القومية واغتصبت ثروة الأمة والشعب، وحملت إلى الصين المركزية، وكانت تركستان الشرقية فى الأصل أمة غنية بثرواتها تحت الأرض وفوق الأرض. ومن أجل هذا فقد كان يجب تحويل تركستان الشرقية إلى دولة صناعية طبقاً لرأى الصين الحمراء. ولكن لم يكن هدف الصين الأساسى هو توصيل سكان تركستان الشرقية إلى مستوى الأمم المعاصرة، ورفع مستوى حياتهم. بل على العكس، فقد كانت تتخذ من تطوير الصين كلها هدفاً. وكانت تركستان الشرقية ستخدم هدف الصين الحمراء هذا بثرواتها وبجهود شعبها، وإذا كان يجب علينا أن نعطى مثالاً لذلك، فقد صرحت الصين الحمراء أنه قد استخرج ٢٥٠ ألف طن من الصلب فى تركستان الشرقية فقط فى هذا الوضع فإن نصيب كل فرد يكون ٥٠ كيلو جراماً، ولكننا إذا كنا سننظر إلى الصين ككل، فإن نصيب الفرد يكون أقل من ١٥ كيلو جراماً. وليست هناك أية فائدة مادية لشعب تركستان الشرقية من كون تركستان الشرقية بلداً صناعياً، ذلك لأن عدد سكان الصين الحمراء كان يرتفع بسرعة شديدة، ومع تطور الصناعة فى تركستان الشرقية، فإن هذا يعنى هجوم المهاجرين الصينيين على تركستان الشرقية.

وعلى سبيل المثال فقد كان عدد للمهاجرين الصينيين المجلوبين إلى تركستان الشرقية فى عام ١٩٦٨، ٢,٦٠٠,٠٠٠ مليون. أما فى سنة ١٩٧٤ فقد وصل عدد المهاجرين الصينيين المجلوبين إلى تركستان الشرقية إلى ٤ مليون، واحتمال صحة هذا الادعاء كبير جداً، وذلك لأنه طبقاً لتقدير هيئة التعداد الهندية، فقد ارتفع عدد الصينيين فى تركستان والذى كان ١/٥٪ فى سنة ١٩٤٩ إلى ٤٥٪، أما فى سنة ١٩٧٠ فقد وصل إلى ٥٠٪. وارتفاع هذا الرقم حتى اليوم محتمل جداً، وخلاف ذلك فقد أعلنت صحافة الصين الحمراء أن ثمانية مليون طالب صينى المطرودين من المدارس الصينية بين عامى ١٩٦٩ و ١٩٧٣ قد تم نفيهم إلى دول الأقليات القومية. واستقرار قسم كبير من هؤلاء الطلاب فى تركستان الشرقية، مسألة محتملة.

وخلاف ذلك فقد كان عدد سكان أوروبجى ٨٠ ألفاً قبل أن تستولى الصين الحمراء على أراضى تركستان الشرقية. أما فى عام ١٩٧٠ فقد أصبح ٨٠٠ ألف، وأكبر مدن تركستان الشرقية بعد أوروبجى هى بالترتيب كاشغر (١٤٠ ألف طبقاً للرقم المعلن فى سنة ١٩٦١) وايلى (٨٥ ألف طبقاً للرقم المعلن فى سنة ١٩٥٨) وقره ماى التى كانت مركزاً صغيراً حتى سنة ١٩٥٠ (٤٠ ألف طبقاً للرقم المعلن فى سنة ١٩٥٨) وقره ماى اليوم واحدة من أهم مراكز البترول بالصين.

ومثلما سيُفهم من الأرقام المعلنة آنفاً فإن أتراك الأويغور يشكلون ٧٥٪ من عدد سكان تركستان الشرقية حتى سنة ١٩٥٣، وتشكل

أتراك القازاق نسبة ١٠٪ والصينيون ٦٪، وتشكل القوميات الأخرى ما تبقى. ولكن هذا الرقم ارتفع إلى ٤٤,٣٪ بعد سنة ١٩٥٥، وبدأ أتراك الأويغور ببطء يكونون أقلية، بالنسبة للمهاجرين المجلوبين من الصين.

ويوجد اليوم فى تركستان الشرقية كلها ٣٨,٥٠٠ مصنع وأتيليه (المرسم) وورشة. وبعد سنة ١٩٦٦ أى بعد الثورة الثقافية فقد افتتح تسعمائة مصنع من الحجم الكبير والحجم الصغير فى تركستان الشرقية. وينفذ الآن ألف نوع من الصناعات فى هذه المصانع، ومن المتفق عليه أنه يوجد الآن فى أورومجى وإيلى وقره ماى وهى مراكز للصناعات الثقيلة، وفى كل مدينة ومركز خارج كاشغر مصانع للأسمنت والسيارات وقطع الغيار.

وسجّل إنتاج المنطقة زيادة قدرها ٨٩٪ فى عام ١٩٧٣ بالنسبة لسنة ١٩٥٤ وذلك فيما يخص الفحم والحديد والنحاس والأسمنت والغزل والنسيج.

وكان ينتج فى تركستان الشرقية كهرباء قوتها ٢٨ ألف كيلو وات فى سنة ١٩٤٢ (مارتين.س.نوريتز : سيكيانج بوابة لآسيا، نيويورك ١٩٤٤، ص ١١٨) واليوم قد تمت كهربة ٩٠٪ من تركستان الشرقية، ولقد أضيفت أيضاً ١١٥ سنترال إلى السنترالات الهيدروكهربية فى تركستان الشرقية فيما بعد سنة ١٩٦٦. وتوجد مراكز الصيانة والورش بإثنين وثمانين مركزاً ضمن الأربع والثمانين مركزاً الموجودة فى تركستان

الشرقية. ويتم إصلاح الجرارات والسيارات فى هذه الورش.

ويوجد فى أوروبجى التى هى عاصمة تركستان الشرقية ثلاثة عشر مصنعاً واحد منها للصلب ومصنع جرارات، وخلاف ذلك يوجد عشرون مصنعاً تنتج الصلب والحديد فى تركستان الشرقية، ويتم فى هذه المصانع، إنتاج خمسين نوعاً من الكربون، والصلب العادى وثلاثمائة نوع من الصلب المطوى.

ردود الفعل لدى شعب تركستان الشرقية التى أظهرها إزاء هذه الإصلاحات:

أظهر الشعب التركى المسلم بتركستان الشرقية ردود فعل شديدة ضد السياسة الاشتراكية الاقتصادية للصين الحمراء. ونتيجة لهذا، حدثت ثورات مسلحة بمرور الوقت، ولم يستطع الإعلام الصينى أيضاً إخفاء هذه الثورات. وكان سيف الدين عزيزى حاكم تركستان الشرقية قد قال فى حديث ألقاه فى المجلس الشعبي القومى فى ١٩٥٥/٧/٢٦ أنه كان يؤمن بضرورة التحرك لمواجهة والقضاء على الثورات، كما كان قد صرح فى سنة ١٩٥٤ أن الشعب كان يقوم بمساعى ثورية فى مدينة خوتن بتركستان الشرقية.

وقد اشترك ستون ألف شخص فى هذه الثورات القومية التى كانت قد بدأت فى خوتن تحت قيادة أم تركية مسلمة تدعى «باشا هانم»، واضطرت الصين الحمراء لجلب المساعدات من منطقتى أوروبجى وكاشغر،

ذلك من أجل القضاء على هذه الثورة.

وحدثت ثورة ثانية تحت قيادة أحد العلماء القوميين والذى كان يدعى «عبد الحميد دام الله» فى ١٩٥٦/٩/٧، فى نفس المنطقة مرة أخرى، وذلك قبل إخضاع هذه الحركة الثورية التى كانت بزعامة باشا هاشم.

وفى ١٩٥٦/٩/٧ صرحت الجريدة القومية المسماة موانج مين جيه باو بأن السكان المعارضين لتغيير الأبجدية العربية فى تركستان الشرقية قد بدأوا المقاومة المسلحة فى كل مكان.

وفى ١٩٥٦/٩/٢٥ صرحت الجريدة المسماة سيكينانج جيه باو أن الثورات قد ظهرت مرة أخرى فى خوتن وأجوارها، وقد تعرضت نفس الجريدة للإجراءات التى اتخذتها الحكومة الشيوعية التى كانت ضدهم وضد الثورات فى تركستان الشرقية، وذلك فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٥٧/١٠/١٦، وكتبت ما يلى:

«سوف يتم إعداد برنامج لعملية تطهير على نطاق واسع، وسوف يبدأ فى فصل الشتاء القادم، وسوف يستمر فى الربيع من أجل التخلص من العناصر القومية».

وألقى سيف الدين عزيزى الوالى العام للتركستان الشرقية حديثاً فى سبتمبر ١٩٥٧، قال فيه: «إن الأقليات القومية تعمل على تقوية

الحركات القومية المحلية خاصة بين المثقفين، فى تلك الفترة التى تحولنا فيها إلى الإشتراكية.

وانتشرت إلى حد كبير تصرفات مثل حركة المواجهة ضد الصينيين منذ سنوات ماضية، والنظر بعين الأجنبى للصينيين انتشرت بين السكان المحليين وبين المثقفين، وكان بعض القوميين المغالين يعملون على طرد وإخراج الصينيين من سنكيانغ، وطبقاً لرأيهم فإنهم قد جلبوا المصائب على سنكيانغ. وينظر بعض الإنهزاميين إلى الصين بعين «الدولة المستعمرة».

ويروى أحد الكتاب الذين اضطروا للجوء إلى الاتحاد السوفيتى من تركستان الشرقية، حديث سيف الدين عزيزى هذا، كما يلى:

لقد أغلقت المدارس الأويغورية فى سنة ١٩٥٧، وتم تحريم الكتب الأويغورية، وشُنّت هجمات شرسة على المثقفين، ولقد اتُّهمت بالقومية وقدمونى إلى معسكرات Tecrid دون محاكمة، وأُمِرتُ بالعمل هناك ثمانى عشرة ساعة فى اليوم، والنتيجة أننى لم استطع ان أتحمل، وهربت.

وكانت الصين الحمراء قد أعلنت أصلاً – شعار – «فلتتفتح الأزهار اليوم» و«لتغرِّد كل الطيور» فى تركستان الشرقية فى شهر مايو سنة ١٩٥٧ – وكان الهدف من ذلك هو معرفة أفكار شعب تركستان الشرقية وأفكار المثقفين. وطبقاً لهذا الشعار، فقد قام شعب تركستان ومثقفوه سياسة الدمج والتحول للشيوعية التى فرضتها الصين الحمراء فى

تركستان الشرقية تحت اسم الإصلاح، وذلك بكل وضوح، وكشفها.

وبدأ المسئولون بالصين الحمراء – والذين عرفوا النية الحقيقية للشعب والمثقفين – بدأوا يقومون بحركات تصفية وإبادة كبرى. وفى المرحلة الأولى قام المسئولون الصينيون بإلقاء ١٨٣٠ شخصاً فى السجون منهم المثقفون والموظفون والطلاب والعمال والفلاحون، وحيكت لهم الإتهامات وعلى رأسها «القوميون المحليون» و«العناصر الفاسدة» و«مقسموا الوطن» و«القمامة المسممة» و«خصوم الثورة». وكان يوجد مثقفون مثل إبراهيم طوردى وعبد الرحيم عيسى، وعبد الرحيم سعيدى وعبد العزيز قارى، الذين أنجبتهم تركستان الشرقية من بين المأخوذين للسجون.

أما الجريدة المسماة سيكينانج جيه باو فقد صرحت فى ١٩٥٨/٨/٢٥ أن شعب تركستان الشرقية الذى لم يرد تعلم المادية اللهمجية قد ثار، وطبقاً لما كتبته الجريدة، فإن العناصر المناوئة للثورة والتى اختبأت دخل الحزب قد حرضت السكان المحليين على الحكومة.

ولم تخف نفس الجريدة فى ١٠ أكتوبر ١٩٥٨ أن جيش تحرير الصين الشعبي قد قضى على العناصر المحرضة على التمرد. وهذا ليس تمرداً عادياً، أصلاً بل على العكس فقد كانت ثورة قومية لشعب تركستان الشرقية.

ولم تتوقف فى أى وقت، الثورات القومية التى قام بها شعب تركستان

الشرقية ضد سياسة التصفية والتصبين والتشيع للصين الحمراء، وعلى سبيل المثال فقد ثار شعب كاشغر ضد حكومة الصين الحمراء فى ١٩٥٩/٥/٢٠ وقد بدأت هذه الثورة على هذا النحو: أراد السكان المحليون فى نفس السنة فى عيد الأضحى أن يفتحوا باب جامع عيدكاه الذى كان مغلقاً منذ مدة، وذلك بهدف أداء صلاة العيد فى عيدكاه الذى كان جامعاً أثرياً فى تركستان الشرقية. ولكن مسئولى الصين الحمراء رفضوا ذلك. وبناءً على هذا، فقد كسر سكان كاشغرالذين تملكهم الغضب – القفل ودخلوا، ووقفوا للصلاة، وفجأة بدأ جنود الصين الحمراء – اللذين هجموا على الجامع – يطلقون النار على المصلين وبناءً على هذا، فقد هجم كل السكان بما أحضروه من أسلحة فى أيديهم مثل الفأس والمعول والجاروف والسكين على جنود الصين الحمراء وعلى المبانى الحكومية والقلاع العسكرية. وأرسلت حكومة الصين الحمراء إلى كاشغر هالونج قائد الشمال الغربى من جيش تحرير الصين الشعبية وسيف الدين عزيزى الوالى العام للتركستان الشرقية بهدف إمكانية قمع التمرد، ولكن لم يكن من الممكن القضاء على الثورة القومية. وانسحب القوميون إلى الجبال، وأصبحوا قوة كبيرة بانضمام السكان المجاورين إليهم، وناوأو الوحدات الصينية الحمراء عامين.

وانتقلت هذه الثورة أيضاً إلى الصحافة الأجنبية، فقد صرحت جريدة لوموند فى ١٩٥٦/٦/٩ أنه قد قامت ثورة ضد الصين الحمراء فى مدينة كبرى تقع جنوب غرب تركستان الشرقية، وطبقاً لما كتبته الجريدة،

فإن السكان الثائرين ضد حكومة الصين الحمراء قد أطلقوا سراح المتهمين فى السجون المجاورة، وقتلوا ما يقرب من خمسين جندياً صينياً. وطبقاً لما كتبته لوموند فقد اشترك فى الثورة عشرة آلاف شخص.

وقد استمرت حركات الصراع القومى لشعب تركستان القومية بمنتهى الشدة بعد سنة ١٩٦٠، وقد حدثت أهم ثورة فى إيلى فى الستينات، فى ١٩٦٢/٥/٢٦، وقد بدأت هذه الثورة على هذا النحو: طلب شعب إيلى بتركستان الشرقية - التى لم يستطيع تحمل سياسة الصين الحمراء فى التصفية والتصيين- السماح له بالهجرة إلى الاتحاد السوفيتى طبقاً للمثل الذى يقول:» الذى يسقط فى البحر يلتف حول الثعبان». وإذا كان الحكام الصينيون قد قالوا إنهم يستطيعون الذهاب إلا أنهم قد أعادوهم من على الحدود فى ١٩٦٢/٥/٢٩، ووصل السكان العائدون إلى إيلى مرة ثانية أمام مبنى الحكومة، وطلبوا من المسئولين تنفيذ الوعد الذى كانوا أعطوه فى البداية، وأن يسمحوا لهم بالهجرة إلى الاتحاد السوفيتى، ولكن أطلقت النيران فجأة على السكان من الوحدات الصينية الحمراء المستقدمة إلى هناك لمهمة حماية مبنى الحكومة التى لم تبدِ أى رد فعل، وخلال خمس دقائق استشهد المئات من الأبرياء بنيران البنادق الآلية التى أطلقت عن اليمين واليسار ومن الأمام. وقد أثار هذا الوضع فجأة سكان إيلى كلها وما جاورها، وقد هجم الخلق الذى أمسكوا بسلاحهم علىّ وحدات الصين الحمراء، ومبنى الحكومة، وعلى كل مكان وُجد به صينيون. واضطر مسئولوا الصين الحمراء - الذين رأوا خطورة الموقف

– إلى طلب العون من أوروبجى. وكنتيجة لذلك انهزم القوميون أمام الوحدات الصينية الحمراء التى كانت متفوقة عليهم فى السلاح.

والأمثلة التى ذكرناها آنفاً هى جزء من صراعات الاستقلال التى خاضها شعب تركستان الشرقية، ضد سياسة التصفية والتصيين التى انتهجتها الصين الحمراء تحت ستار الإصلاح فقط، فى بلدانهم، وفى نفس الوقت من أجل التخلص من سيطرة المستعمرين بالصين الحمراء تماماً.

وطبقاً للمعلومات التى أمدنا بها صحفيوا العالم الحر الذين وجدوا فرصة إمكانية زيارة تركستان الشرقية مؤخراً، وشهود العيان الذين لجأوا إلى العالم الحر فى الأعوام الأخيرة، فإنه حتى الآن، لازالت المقاومة القومية لشعب تركستان الشرقية مستمرة حتى الآن، ولا توجد أية شبهة فى أنها سوف تستمر إلى الأبد، وذلك لأن هناك وطن مستولى عليه بقوة غازية غالبة، وهناك أمة مسحوقة بواسطة أمة صينية، وهناك أمة تدافع عن أن تركستان الشرقية ليست أرضاً صينية، وهناك أمة تدفع عن تركستان الشرقية أنها جزء لا يتجزأ من الصين. وهناك أمة تريد أن تمتص، وهناك أمة لا تريد أن تمتص. وهناك أمة تعمل على حماية نفسها ضد سياسة التعصب الصينية.

وهناك أمة مُستعمِرة، وهناك أمة مستعمَرة. وأهم ما فى الأمر، هو أنه هناك مجتمع شعبى يمتلك كل الظروف الضرورية من أجل إمكانية

تقرير مصيره بنفسه كدولة وكأمة موجودة اليوم، وحتى قد وافق على هذا ستالين فترة من الوقت. وإذا كان ستالين قد عقد تحالفاً مع الصينين قبل تقويض الثورات لشعب تركستان الشرقية فى عامى ١٩٣١، ١٩٤٤، وقبل تقويض الجمهوريات المعلنة فإنه طبقاً لنظريته، فإن ما يلزم من أجل أن تكون تركستان الشرقية دولة مستقلة تقرر مصيرها بنفسها هو:

أ- أن توجد لها حدود مباشرة مع الدول الأجنبية.

ب- أن يوجد لها باب للخروج إلى الدول الأجنبية.

ج- أن يكون لها مجتمع يتحدث لغة واحدة، ويشكل الغالبية العظمى.

د- أن يكون هذا المجتمع مرتبطاً ببعضه من النواحى المادية والمعنوية.

ولكن بالرغم من كل هذا، فإن الصين الشيوعية التى أعلنت حلو الكلام «أنها حامية الشعوب المسحوقة»، وأنها ضد الاستعمار- لا تنتوى التخلى عن آمالها الإستعمارية فى تركستان الشرقية ولهذا، فإن صراع شعب تركستان الشرقية سوف يستمر إلى الأبد.

القسم السابع

أتراك الأويغور فى الاتحاد السوفيتى

إن الغالبية العظمى من أتراك الأويغور فى الاتحاد السوفيتى يعيشون فى جمهوريات قاراقستان، وأوزبكستان، وتركمنستان، وقيرغزستان. وقد اضطر أتراك الأويغور هؤلاء الذين هم فى الأصل تركستانيون شرقيون — إلى اللجوء إلى أراضى الاتحاد السوفيتى اليوم عقب الحروب التى قامت بها تركستان الشرقية مع الغزاة بعد تعرضها للغزو المانجو صينى. وتذكر المصادر التاريخية أنه قد لجأ إلى أراضى الاتحاد السوفيتى اليوم من أتراك الأويغور خمسون ألفاً بعد ثورة أوج تورفان فى عام ١٧٦٣، وتسعون ألفاً بعد ثورة كاشغر وباركند ١٨١٩-١٨٢٦، وسبعون ألفا بعد ثورة كاشغر ١٨٣٠، وستون ألفا بعد ثورة كاشغر وينكى حصار ١٨٤٦، وخمسة عشر ألفاً بعد ثورة كاشغر ١٨٥٥، وثمانون ألفاً بعد ثورة كاشغر مرة أخرى ١٨٦٣.

وخلاف ذلك فقد هاجر ٤٥,٣٧٣ شخصاً داخل حدود الاتحاد السوفيتى اليوم، من ولاية إيلى بتركستان الشرقية بين عامى ١٨٨١،

١٨٨٣. ويذكر المؤرخ القازاقستانى الشهير حوقان وليخان، بصورة تؤيد المعلومات المذكورة آنفاً أن سبعين ألف تركى أويغورى قد هاجروا إلى خوقند، ومدن شهر خان، وإلى وادى فرغانة فى سنة ١٨٢٥، ويذكر فى النهاية أن عددهم كان قد وصل إلى ثلاثمائة ألف.

وخلاف ذلك فقد اضطر الآلاف من أتراك الأويغور إلى اللجوء إلى الاتحاد السوفيتى فى العهود التالية بعد أن تعرضت تركستان الشرقية لغزو الصين الشيوعية فى سنة ١٩٤٩، وعلى سبيل المثال فقد لجأ ستون ألف شخص من ولاية إيلى سنة ١٩٦٢ إلى جمهورية كازاخستان، وطبقاً لما أمدتنا به الصحيفة المسماة «بريد الصباح لجنوب الصين» التى تصدر باللغة الإنجليزية فى هونج كونج، فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٤/١٠/٢ فقد لجأ شعب الجمعيات - بناحية قوم آريق المرتبطة بولاية أقصو بتركستان الشرقية - بأكمله إلى جمهورية قيرغيزستان. وبالرغم من أن أعداد السكان فى المعسكرات، مختلفة فإنه طبقاً لما ذكره إخواننا الذين جاءوا إلى تركيا مؤخراً من تركستان الشرقية. أنه يوجد على الأقل من خمسة إلى عشرة آلاف شخص فى المعسكر وكما سيفهم من الأرقام المذكورة، فإنه عندما ينبغى أن يوجد اليوم ما يزيد على خمسمائة ألف تركى أويغورى فى الاتحاد السوفيتى فإنه يصرح بأنه يوجد ١٧٣ ألف تركى أويغورى فى إتحاد الجمهوريات السوفيتية الإشتراكية وذلك طبقاً للإحصائيات الرسمية المعلنة فى سنة ١٩٧٠. ولا تؤيد المعلومات الإحصائية- المعلنة فى عهود مختلفة فى الاتحاد السوفيتى - بعضها،

ذلك أنه طبقاً لتعداد السكان المعلن فى سنة ١٨٩٧، فإنه يصرّح بأنه كان يوجد ١٠٢,٠٠٠ تركى أويغورى فى الاتحاد السوفيتى، و ١٣٨ ألف فى سنة ١٩١١، و ١٠٨ ألف فى سنة ١٩٢٦، ومائة ألف فى سنة ١٩٣٩، و ٩٥ ألف فى سنة ١٩٥٩، أما فى سنة ١٩٧٠ فكان ١٧٣ ألف.

والمعلومات التى صرح بها المسئولون السوفيت فى هذا الصدر ليست مطمئنة، وطبقاً لتعبيراتهم، فإن أتراك الأويغور الذين يعيشون فى الاتحاد السوفيتى قد استوعبوا بمرور الزمن، وإذا كنا سننظر فى أصل المسألة، فإن سبب زيادة سكان أتراك الأويغور فى الاتحاد السوفيتى، ونقصها ثم زيادتها مرة أخرى، متعلق بالسياسة السوفيتية الصينية، ذلك أن الاتحاد السوفيتى والصين القومية أو الصين الحمراء قد عملت على إظهار أعداد أتراك الأويغور فى أقل نسبة ممكنة فى العهود التى تتصادقان فيها.

وبنسبة كبيرة عندما تسوء ذات البين، وعلى سبيل المثال أصبح الآلاف من أتراك الأويغور ضحية لِستالين فى الاتحاد السوفيتى خلال الزيارة التى قام بها (شين شى شاى) الوالى العام للتركستان الشرقية، وذلك لأنه لا زال يوجد أكثر من ستين مدرسة تقوم بالتدريس بلهجات أتراك الأويغور فى الاتحاد السوفيتى اليوم، وطبقاً للمعلومات الموجودة بين أيدينا، فإنه يدرس فى المدارس الابتدائية فى كل صف حوالى ثلاثة آلاف طالب، وفى المدارس الإعدادية ١٥٠٠ طالب. (مذكرات كندية سلافونية، المجلد السابع عشر، ٢-٣، ١٩٧٥) وقد أعِدّت الكتب فى

المدارس الابتدائية والإعدادية باللهجة الأويغورية، وفى مقابل ذلك فإن التدريس فى المدارس الابتدائية والإعدادية فى تركستان الشرقية باللغة الصينية وتدّرس اللغة الأم لأتراك الأويغور كلغة مساعدة وتبلغ كمية الكتب المدرسية المطبوعة باللهجة الأويغورية والمخصصة لسنة ١٩٧٦، ١٣٠ ألف كتاب.

وقد أصبح من الممكن نبوغ المثقفين من بين أتراك الأويغور بسبب ارتفاع معدل القراءة. وقد ألف ثمانية عشر كتاب أدبى باللهجة الأويغورية فى سنة ١٩٧٠ فقط (knigi odik,EZHE. ١٩٧٠. ٥,٣٩٨). وقد تُرجم إلى اللغة الروسية من ضمن هذه المؤلفات كتاب "yizada ,taki yirak" «لموسى بييف»، وكتاب «الصراع من أجل إنماء الحكم السوفيتى فى «يدى صو» لحسنوف، ومايم خان، وسر السنين لضيا صمدى، والصراع من أجل الحرية لظنون طيبوق، وقد صدرت عليها تعليقات فى نشريات الدول الغربية. وهناك الكثير من أتراك الأويغور الذين عُيِّنوا فى إدارات الدولة والحكومة بجمهوريات آسيا الوسطى، لدرجة أن ى.يوسوبوف أصبح السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى لجمهورية كازاخستان، كمبرا ١٩٦٧، ١٩٦٤. (ج. وكليرى) السياسة والإدارة فى كارزاخستان، كمبرا ١٩٦٧، ص ٣٩٨).

وهناك جريدتان إحداهما «لواء الشيوعية» التى تصدر بالحروف الكيرلية بلهجة أتراك الأويغور، و»الحياة الجديدة» التى تصدر بالحروف العربية. وتنشر هاتان الجريدتان فى آلما- آتا، وخلاف ذلك، فهناك

نشريات باللهجة الأويغورية من مكانين مختلفين إذاعة آلما – آتا، وإذاعة طشقند، ومثلما كانت المسارح الأويغورية فى الاتحاد السوفيتى، فقد لحنت أوبرا وباليه خاص. وقد شكلت فرق موسيقية وفولكلورية من مكانين مختلفين أوزبكستان وكازاخستان.

وقد افتتح قسم أويغورى إلى جانب الأكاديمية السياسية القازاقية فى كازاخستان سنة ١٩٤٩. أما فى سنة ١٩٦٣ فقد تم توسيعها، فأصبحت المعهد الأويغورى، ومهمة هذا المعهد هى القيام بأبحاث عن التاريخ والأدب والفولكلور واللغة الأويغورية، ويعمل فيه ما يقرب من عشرين رجل علم أويغورى.

وخلاف ذلك، فإنه لا يجب أن يُنْسى أن كل هذه المجهودات لن تعكس الشخصية الحقيقية للثقافة التركية، بل على العكس من ذلك، ستعمل على إفساد الثقافة التركية الأويغورية من أجل انتشار الفكر الشيوعى.

سلسلة دراسات تركستان الشرقية ١

بعد حادثة الإبادة الجماعية التي ارتكبتها سلطات الاحتلال الصيني في اورومتشي في ٥ يوليو ٢٠٠٩ ضد مسلمي الاويغور، توجهت انظار العالم ومنه العالمين العربي والأسلامي من جديد الى تركستان الشرقية، حيث قام بعض الكتاب والباحثين العرب بنشرالعديد من المقالات والبحوث التي تعرف بقضية تركستان الشرقية في بعض المجلات والصحف ومواقع الانترنت.

ونحن من جانبنا و من اجل تأمين العالمين العربي والأسلامي بمعلومات ووثائق ذات مصداقية عن مسلمي تركستان الشرقية، قمنا بنشر هذه السلسلة من الدراسات وسميناها سلسلة دراسات تركستان الشرقية

وتشمل هذه الدراسات على جميع الكتب و المقالات التي تخص تركستان الشرقية .

وقف تركستان الشرقية

